الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي نور البشير البيض
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

دور قبائل الجنوب الجزائري في مقاومة أولاد سيدي الشيخ شعانبة متليلي أنموذجا(1850 ـ 1892م).

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبين:

- محمد ميلودي.
- محمَّد بُوعزَّة.

إشراف :

د.مجروني الطيب.

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الصفة
د.الطاهر قاسمي	رئيساً
د. الطيب مجروني	مشرفاً ومقرراً
د. عبد الجبار صديقي	ممتحناً

الموسم الجامعي:2025/2024م.


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر له على فضله، وعلى توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات، حرصا منه على إنجاز هذا البحث وتقديمه بالصورة المطلوبة فجزاه الله خيرا وأدامه ذخرا للأمة؛

كما لا يفوتنا أن نخص بالشكر والامتنان للأهل الذين قدموا لنا يد المساعدة و ساندونا في كل خطوة فتحدينا الصعاب؛ وكل التحية والاحترام إلى من ساعدنا في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو بعيد.

ميلودي محمد.

بُوعزَّة مُحمَّد.



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: من لم يشكر الناس لم يشكر الله يسرني أن أتقدم في هذه المذكرة بجزيل الشكر والامتنان لكل من ساهم في إتمام هذا العمل الأكاديمي، الذي أعتبره نتاج جهد مشترك، وعمل دؤوب، وتوجيهات قيّمة.

أود أن أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذنا المشرف، الدكتور الطيب مجروني، على ما قدمه لنا من دعم علمي وتوجيهات قيمة طوال مراحل إعداد هذه المذكرة، لقد كان لحكمته العلمية وجهوده المتواصلة أثرٌ بالغ في تطوير هذه الدراسة وتحقيق أهدافها، كما نتوجه بالشكر إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب وبعيد.

ميلودي محمد



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، إلى الوالدين العزيزين، نبض قلبي ودعمي المستمر؛

إلى إخوتي (مصطفى، رياض، يوسف، ووسيلة)؛ وأصدقائي رفقاء الدرب في كل خطوة (مبروكي يوسف القرضاوي، ميلودي محمد ، كريم رفيق ، بلقاسم خديمي عز الصحبة، الجيلالي رحالي ،عبد القادر بوعزة، عبد الرحمن بودية، فطيمة الزهرة طواف والقائمة تطول، كل واحد باسمه ومقامه...)؛ إلى أساتذتي الأفاضل منارة العلم والإلهام (الطيب مجروني، شعبان إيدو، محمد شاطو،عابدية قاسم...)، إلى كل من آمن بي وساعدني على المضي قدماً، أهدي هذا العمل تقديراً وامتناناً.

بُوعزَّة مُحمَّد

قائمة المختصرات:

باللغة الأجنبية:

الإختصار	المعنى
P	Page
Pp	De la page..a la page
Op.cit.	Opera citato
Ibid	Ibidem
CCDS	Centre Culturelle et de Documentation Saharienne
Mgr	Monseigneur
N	Numéro
T	Tome
R.V	Revue Africaine

باللغة العربية:

الإختصار	المعنى
ص	صفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
م	ميلادي
ط	طبعة
ب.ط	بدون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعريب
د.ت	دون تاريخ

مقدمة

مقدمة:

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر وإحكام قبضتها على الشمال الجزائري؛ وبعد نجاحها في القضاء على مقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب، وأحمد باي في الشرق الجزائري، بدأت تدريجيًا بالتوغّل نحو الجنوب الجزائري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في إطار سعيها للسيطرة على المسالك التجارية؛ ومد خطوط السكة الحديدية للربط بين مستعمراتها في شمال وغرب إفريقيا، وقد اصطدمت هذه المحاولات بمقاومات شرسة من طرف قبائل الجنوب الجزائري بصفة عامة، وقبيلتي أولاد سيدي الشيخ والشعانبة في منطقة متليلي بصفة خاصة، حيث أبدت هذه القبائل تمسّكًا قويًا بأرضها، واستندت في مقاومتها إلى روابطها الاجتماعية والدينية المتينة ومعرفتها الجغرافية العميقة بالمنطقة.

ويبرز دور هذه القبائل في التحامها مع قادة الثورة، وتوفير الدعم البشري واللوجستي، ورفضها المستمر للوجود الفرنسي، رغم حملات القمع والعقوبات الجماعية التي تعرضت لها؛ ولعل هذا التلاحم بين البعد الديني والقبلي، وبين مقاومة الاحتلال، هو ما أعطى لثورة أولاد سيدي الشيخ بعداً متميزاً في سياق الكفاح الوطني الجزائري.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في إيضاح الدور الذي لعبته قبائل الجنوب الجزائري من بينها قبيلة الشعانبة في ثورة أولاد سيدي الشيخ، كونها تسلّط الضوء على جانب مهم ومغفَل في كثير من الكتابات التاريخية حول المقاومة الشعبية الجزائرية في منطقة الجنوب الغربي.

أهداف الدراسة :

إنَّ الهدف من وراء دراستنا لهذا الموضوع هو ابراز أهمية وجود قبيلة متليلي الشعانبة وأثرها في مسار ثورة أولاد سيدي الشيخ، والذي تجلى واضحا من خلال المساهمة في الثورة

ميدانيًا، سواء من حيث المشاركة في المعارك، أو من خلال توفير الدعم اللوجستي والإيواء والتموين للثوار المجاهدين.

دوافع إختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي حفزتنا على دراسة هذا الموضوع والتي تداخلت بين الذاتية والموضوعية نذكر:

الدوافع الذاتية :

* رغبتنا الشخصية في دراسة المواضيع التي لها علاقة بتاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

* إهتمامنا بمجال البحث التاريخي المحلي.

الدوافع الموضوعية :

* المساهمة في إثراء البحث العلمي والمكتبة الجامعية.

* إعادة الاعتبار للدور الجهوي والمحلي في تاريخ المقاومة الجزائرية، من خلال التركيز على مناطق غالبًا ما همّشتها الروايات الرسمية أو لم توفّها حقها من الدراسة.

* إبراز الدور الذي لعبته قبيلة شعانبة متليلي في ثورة أولاد سيدي الشيخ.

الإشكالية :

تتمحور إشكالية هاته الدراسة حول الدور الذي ساهمت به قبائل الجنوب الجزائري بصفة عامة وقبيلة شعانبة متليلي خاصة في دعم واسناد ثورة أولاد سيدي الشيخ في مواجهة المستعمر الفرنسي.

للإجابة عن الإشكالية الرئيسية لابد من طرح تساؤلات فرعية:

• ماهي الأساليب التي انتهجها الاحتلال الفرنسي لبسط نفوذه في المنطقة ؟

• ما هي الظروف العامة التي سبقت اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864؟

• كيف ساهمت قبيلة الشعانبة في دعم ثورة أولاد سيدي الشيخ؟ وماهي طبيعة هذا الدعم؟

• كيف كان رد فعل الاستعمار الفرنسي حول مشاركة شعانبة متليلي في ثورة أولاد سيدي الشيخ؟

حدود الدراسة:

لابد في كل بحث تاريخي من تحديد الإطار الزماني والمكاني للدراسة، وفي موضوعنا هذا تمتد الفترة المدروسة من 1850م، والتي قرر فيها "سي حمزة ولد سي بوبكر"، زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة أن يضع نفسه وأفراد عائلته تحت تصرف السلطات الفرنسية، مرورا بثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة؛ والتي انطلقت سنة 1864م، إلى غاية استسلام سي قدور بن حمزة آخر زعماء أولاد سيدي الشيخ، وقد استقبل من طرف الحاكم العام للجزائر جول كومبون (Jules Cambon) في المنيعة خلال مارس 1892، لتكون بذلك نهاية مرحلة طويلة من المقاومة.

فيما يخص الإطار المكاني للموضوع؛ فيشمل منطقة الجنوب الجزائري بشكل عام ومنطقة الجنوب الغربي بشكل خاص؛ إذ أن ثورة أولاد سيدي الشيخ انطلقت من منطقة متليلي الشعانبة والتي تعتبر من الجنوب الجزائري الأوسط، كما مست وشملت هذه الثورة منطقة الجنوب الغربي الجزائري.

المنهج المتبع:

للإجابة عن الإشكالية والتساؤلات التي طرحناها، وفي سبيل التوصل إلى الهدف المطلوب اتبعنا كل من:

المنهج التاريخي: بطبيعة الحال فإن موضوعنا لا يخرج عن هذا المنهج وذلك لسرد الأحداث وتتبع التطورات التاريخية وذلك حسب تسلسلها الزمني منذ بداية الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري مرورا بقيام ثورة أولاد سيدي الشيخ إلى غاية توقفها.

كما وظفنا أدوات الوصف، من خلالِ توصيف دور الزوايا والطرق الصوفية (خاصة الطريقة الشيخية)؛ التي كانت تمثل مركزًا روحيًا ودينيًا، وتقديم صورة دقيقة عن كيفية تأثير هذه الزوايا في مقاومة الاحتلال الفرنسي، كما يتم وصف التفاعل بين الدين والمقاومة الشعبية في الجنوب الجزائري.

وأداة التحليل من خلال تحليل العلاقة بين القبائل مثل شعانبة متليلي وأولاد سيدي الشيخ وأثر تلك العلاقة في توحيد الجهود ضد الاستعمار الفرنسي، وكيف كانت تحالفات قبائل الجنوب تشكل ردًا جماعيًا ضد السياسات الاستعمارية.

الدراسات السابقة :

خلال بحثنا عن المصادر والمراجع التي تفيدنا في إنجاز دراستنا، وجدنا بعض الدراسات من بينها أطروحة دكتوراه، إضافة إلى مقالتين علميتين، والتي تتناول موضوعنا في أحد جوانبه؛ وكانت كالتالي:

*دراسة بعنوان "مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908"، أعدّها الشيخ لكحل، تحت إشراف الدكتور شيخي لكحل، ونُشرت في جامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس عام 2018؛ تستعرض هذه الدراسة مشاركة الشعانبة في مختلف المقاومات، بدءًا من دعمهم للشريف محمد بن عبد الله، مرورًا بمساندتهم لثورة

أولاد سيدي الشيخ، وصولاً إلى انخراطهم في جيش الشيخ بوعمامة. كما تُبرز تأثير النزعة الاستقلالية والطرق الصوفية الجهادية في تعزيز المقاومة بالمنطقة.

*مقال بعنوان "مساهمة الشعانبة في الثورات الشعبية بالجنوب الجزائري – ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1880) أنموذجًا" ، كتبتها الباحثة دينا صورية، نُشرت في مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية عام 2023، تُسلّط الضوء على دور الشعانبة، خاصة شعانبة بورزقة، في مقاومة الاحتلال الفرنسي، بدءًا من مشاركتهم في مقاومة الأمير عبد القادر، وصولاً إلى دعمهم للثائر بوشوشة وانخراطهم في جيش الشيخ بوعمامة، كما تُشير إلى الدعم المادي والمعنوي الذي قدّموه للثوار.

*مقال بعنوان "علاقة شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ خلال القرن التاسع عشر ميلادي – من خلال الكتابات الفرنسية"، أعدّها الشيخ لكحل ومحمد الزين، نُشرت في مجلة روافد للبحوث والدراسات عام 2018؛ تتناول هذه الدراسة العلاقة الروحية والتاريخية بين شعانبة متليلي وأولاد سيدي الشيخ، مُركّزة على مشاركتهم المشتركة في المقاومات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، خاصة في ثورة أولاد سيدي الشيخ وثورة الشيخ بوعمامة، كما تُبرز تأثير هذه العلاقة في تعزيز وحدة المقاومة.

خطة البحث :

قمنا بتقسيم هذه الدراسة وفق المادة العلمية المتوفرة لدينا؛ إلى فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة جاءت كالتالي:

الفصل التمهيدي بعنوان " الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري 1845م"، تضمن أربع مباحث؛ تكلمنا في المبحث الأول عن الطبيعة الجغرافية للجنوب الجزائري مع ذكر أهم قبائل المنطقة، أما المبحث الثاني تحدثنا عن دور قبيلة أولاد سيدي الشيخ دينيا وإجتماعيا ومكانتها بين القبائل، وعنونا المبحث الثالث بعلاقة أولاد سيدي الشيخ

بشعانبة متليلي وجذور العلاقة التاريخية والروحية التي كانت تجمعهم، لتتجسد فيما بعد خلال فترة الاحتلال الفرنسي وتوسعه في منطقة الجنوب الغربي الجزائري وكان هذا عنوان المبحث الرابع .

الفصل الأول كان موسوماً بـ "انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ "، تضمن ثلاث مباحث؛ تطرقنا في المبحث الأول إلى بداية تسرب النفوذ الفرنسي داخل قبيلة أولاد سيدي الشيخ وعن أوضاع هذه الأخيرة في تلك الفترة، في المبحث الثاني تحدثنا عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة لثورة أولاد سيدي الشيخ، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان مراحل الثورة .

وفيما يخص الفصل الثاني جاء بعنوان "مساهمة قبيلة الشعانبة في ثورة أولاد سيد الشيخ"، قسم إلى ثلاث مباحث، عنونا المبحث الأول بـ" دور قبيلة الشعانبة في دعم وإسناد الثورة "، وتعرضنا في المبحث الثاني لردود فعل الاستعمار الفرنسي نتيجة مشاركة الشعانبة في الثورة متجسدة في الحملة العسكرية للعقيد دوسونيس سنة 1866م، وفي المبحث الثالث والأخير تكلمنا عن إنعكاسات حملة دوسونيس على ثورة أولاد سيدي الشيخ.

لنخرج في الأخير بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات ونتائج مستعرضين أهم النقاط التي استخلصناها من دراسة الموضوع.

المصادر والمراجع المعتمدة :

اعتمدنا في إعداد هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع كان من بين أهمها كتاب: "تاريخ الثورة في جنوب محافظة الجزائر سنة1864"

Trumelet Corneille: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879.

يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما يؤرخ لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864، وقد قسمه تريملي إلى جزئين صدر الجزء الأول منه بهذا العنوان سنة 1879، واحتوى ظروف اندلاع الثورة وأحداثها الأولى حتى مقتل سي سليمان بن حمزة، بينما صدر الجزء الثاني منه سنة1884 لكن تحت عنوان مختلف قليلا:" تاريخ ثورة أولاد سيدي الشيخ (جنوب الجزائر) من 1864 إلى 1880".

"C.Trumelet: Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880"

وهو يؤرخ لمسار الثورة بعد استسلام سي محمد بن حمزة لوائها إلى غاية سنة 1880.

أمَّا بخصوص المراجع التي اعتمدنا عليها فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها كتاب:" Cheikh si hamza boubakeur,un soufi algèrien,sidi cheikh,tome1, maisonneuveetlarose, paris, 1990 ، والذي يعتبر مرجعا مهما ساعدنا في التعرف على نسب وأصل أولاد سيدي الشيخ والمكانة الدينية والاجتماعية التي تمتعوا بها من خلال الطريقة الروحية وسط القبائل المجاورة؛ وكذلك أفادنا في التعرف على مسار الثورة ودورهم في مقاومة الإحتلال الفرنسي، بالإضافة إلى كتاب يحي بوعزيز،" كفاح الجزائر من خلال الوثائق"؛ والذي استفدنا منه في ذكر أسباب ومراحل الثورة؛ بالإضافة لأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر لشيخ لكحل، والموسومة بعنوان "مقاومة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851_1908م)"، والتي ساعدتنا في استعراض أهمية دعم شعانبة متليلي لثورة أولاد سيدي الشيخ عسكريا و لوجيستيا.

الصعوبات :

لا يخلو أي بحث علمي أو دراسة من الصعوبات؛ وقد اعترضتنا أثناء إنجازنا لهذا العمل الكثير منها نذكر منها :

عدم توفر مصادر ومراجع محلية تتطرق بالتفصيل لموضوع مساهمة قبائل الجنوب في ثورة أولاد سيدي الشيخ، وكذلك ضياع أغلب الوثائق المحلية التي كانت في خزانة المسجد العتيق بمدينة متليلي الشعانبة، مع نقص الإمكانيات المادية للتنقل خارج البلاد من أجل الحصول على المادة العلمية في دور الأرشيف الفرنسية.

الفصل التمهيدي:

الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري1845م.

المبحث الأول: الطبيعة الجغرافية للجنوب الجزائري وأهم القبائل.

المبحث الثاني: دور قبيلة أولاد سيدي الشيخ دينيا واجتماعيا.

المبحث الثالث: العلاقة بين أولاد سيدي الشيخ وشعانبة متليلي.

المبحث الرابع: التوسع الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري1845م.

المبحث الأول : الطبيعة الجغرافية للجنوب الجزائري وأهم القبائل.

يعد الجنوب الجزائري منطقة جغرافية ذات خصائص فريدة، تجمع بين تنوع التضاريس واختلاف المناخ، مما جعله يشكل محورًا مهمًا في التاريخ السياسي والعسكري للجزائر منذ العصور القديمة، كان الجنوب الجزائري موطنًا لعدة حضارات وثقافات متنوعة، بالإضافة إلى أنه لعب دورًا محوريًا في مقاومة الاحتلالات الأجنبية التي تعاقبت على البلاد، فقد كان هذا الجزء من الجزائر مركزًا للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، حيث تبنّت القبائل الصحراوية والمناضلون من أبناء المنطقة استراتيجيات حرب غير تقليدية في مواجهة المستعمر، من خلال مقاومة الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر، وصولًا إلى الثورة التحريرية في عام 1954، شهد الجنوب الجزائري تطورًا ملحوظًا في دور الأفراد والجماعات في مواجهة الاستعمار، هذا الجزء من البلاد بطبيعته الجغرافية الوعرة والصعبة شكل أرضًا خصبة للمقاومة المسلحة والمشاريع الثورية، التي استندت إلى الجغرافيا كعامل أساسي في تكتيك الحرب، وهو ما يجعل المنطقة عنصرًا محوريًا في مسار تاريخ الجزائر الحديث[1].

1.التحديد الجغرافي للجنوب الجزائري.

يمتد الجنوب الجزائري على مساحة جغرافية واسعة أين تغطي الصحراء معظم أراضيه بكل مظاهرها من رق، وعرق وحمادات وكتل جبلية، ما يجعلها متحف طبيعي مفتوح وأرض بكر مفتوحة الأفاق، فهي البيداء والخلاء والفيافي وغيرها من الأسماء، وإن كان إسم الصحراء حسب بعض الاجتهادات مشتق من السحر أي وقت ما قبل الفجر حيث

[1]_ عبد القادر كركار: " **الجنوب الجزائري من المقاومة الى الثورة التحريرية**"، مجلة الباحث في العلوم الانسانية، العدد1، جامعة الوادي، 2012، ص19.

يمكن تميز الخيط الأبيض من الأسود، وهو ما يتم بوضوح في الخلاء حيث لا حواجز طبيعية في الأفق مع صفاء السماء[1].

وقد طبعت الصحراء خصائصها على طبيعة حياة سكانها، وفي هذا المنوال كان أول إحتكاك للفرنسيين بالصحراء وطبيعتها في الجزائر مع بداية إمتداد الغزو جنوبا، محاولين إستكشاف أغوارها ومجاهلها من خلال مراحل إحتلالها منطقة بمنطقة وصولا إلى أقصى الجنوب[2].

وتعد الصحراء من أهم مناطق الوطن بغض النظر عن تنوع مظاهر السطح، سلسلة جبال الأطلس الصحراوي التي هي فاصل طبيعي بين مناطق التل المحاذية للصحراء كالهضاب العليا وشط الحضنة، حيث تبدأ أولى مظاهر الصحراء والجنوب الكبير حيث نجد كبرى التجمعات السكنية في عدد من الوديان كوادي ميزاب بمدينة غرداية، بونورة العطف مليكة بني يزقن، بريان، وإلى الشمال القرارة، [3]وادي ريغ بمدنه وقراه كالمغير، أم الطيور، تندلة، في الشمال وجامعة سيدي عمران، تمرنة، مازر، تقديدين، سيدي يحي، لغيفان في الوسط وتبسبست، المقارين الزاوية العابدية النزلة،غمرة، بلدة عمر، تماسين، القوق، لقصور تقرت في الجنوب والتي يصفها الفرنسيون أنها محط تجار تونس الذين يصلون إليها فهي المركز العام لسكان المدن والقرى المجاورة وليس نقطة القوافل الكبرى كما هو شائع[4].

علاوة على أنها عاصمة بني جلاب، ووادي سوف بمدنها الوادي، قمار، الزقم، سيدي عون، الرقيبة، تاغزوت الدبيلة، كوينين والرباح، وادي العلندة والبياضة، أما في

---

[1]_Daumas Eugène: **Le Sahara Algérien**, Dubos Frères,Alger,1845,p1.

[2]_علي محمد صاري، **الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية:** دراسة في أساليب الاختراق والاحتلال (1844-1902)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2001، ص ص 27-42 .

[3]_ نادية قدي ، **الجغرافيا الإقليمية للجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص ص 133-145.

4_ عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص20.

الغرب فوادي الساورة وما يضم من مدن وقرى كبشار العبادلة بني عباس تاغيت، هذا إلى جانب مناطق المنخفضات التي تضم واحات عديدة كمنطقة الزيبان حيث واحات طولقة، ليشانة، ليوة وماجاورها، ومنطقة ورقلة بواحاتها العديدة، وفي وسط الصحراء منطقة القورارة أو تيقورارين بعاصمتها تيميمون وإلى الجنوب توات الوسطى حيث مدن أدرار، تامنطيط، زاوية كونته، فنوغيل، تامست وإلى الجنوب منها تيدكلت بعاصمتها عين صالح وبالتعمق جنوبا كتلة جبال الاهقار حيث تعتبر تامنغست عاصمتها وجبال التاسيلي بعاصمتها جانت[1].

وإن كانت هذه أهم مناطق تجمعات السكان في الصحراء إلا أنها لا تخلو من مدن وبلدات على أهم محاور الطرق الكبرى الرابطة بين هذه المراكز، كالمنيعة أو القليعة حسب التسمية الفرنسية والتي كان الماء الموجود فيها ذا نوعية جيدة وهي مركز سكاني هام[2].

وما كان يحفز الفرنسيين على التقدم جنوبا هو وفرة الماء، بالإضافة إلى أوقروت، الأغواط التي يعبرها وادي مزي ويحميها سور حجري محاطة بحدائق جميلة وهي ككل حدائق واحات الصحراء ذات جمال خاص، حسب الفرنسيين الذين كانوا معجبين بواحات الصحراء، فكانت مطمع لتوسعاتهم والتي مع بدايتها أخذت القوات الفرنسية تتوسع في الجنوب الشاسع[3].

وللفصل في نظام الحكم كان لابد من وضع حدود ومعالم لتحديد مناطق الجنوب التي بقيت تخضع للحكم العسكري les Territoires du Sud de l'Algérie بعد أن أقر الحكم المدني في أقاليم التل وهران، الجزائر ،قسنطينة فو إن كانت الحدود من الشرق والغرب هي حدود المستعمرة كما ستحدد لاحقا، فقد بقي تحديدها من الشمال وقد تم ذلك

[1] _ نادية قدي، المرجع السابق، ص ص 146–170.

[2] _ المرجع السابق، ص ص 172–180.

[3] _علي محمد صاري، المرجع السابق، ص ص 43ـ 60.

وفق قانون 24 ديسمبر 1902، حيث ضمت أقاليم الجنوب إداريا مناطق شمال الأطلس الصحراوي كمشرية والبيض، عين الصفراء، الجلفة، والأغواط في وسط جبال الأطلس، ومع التوغل جنوبا ظهرت الحاجة إلى تحديد معالم فاصلة ففي الغرب كانت معاهدة 18 مارس 1845 قد حددت الحدود من ساحل البحر إلى ثنية ساسي وليس بعد ذلك فحسب البند الرابع فالصحراء ليست لها حدود لنوضحها بما أن الأرض لا تحرث وهي معبر للعرب من الإمبراطوريتين حسب تعبير المعاهدة [1].

غير أن التوغل في الجنوب أوجد وضع جديد تم معالجته بالاتفاق مع المملكة الشريفية لتحديد الحدود، أما الحدود الشرقية مع تونس فقد تم الأمر كذلك بالاتفاق بين المستعمرة والمحمية بعد وقوع الحماية وذلك من طرف وزير الشؤون الخارجية الفرنسي بتاريخ 30 أكتوبر 1901.

أمَّا مع ليبيا في الجنوب الشرقي فمسألة تعليم الحدود بدأت منذ الاتفاق الفرانكو-انكليزي في 14 جوان 1898 والذي انضمت إليه ايطاليا، غير أنه وخلال حربها مع الدولة العثمانية 1911 تعطلت مسألة الاتفاق، وفي 1914 احتلت ايطاليا واحة غدامس وغات فوجهت لجنة لتحديد الحدود عدلت اتفاق 1898 بإتفاق فرانكو- ايطالي في 12 سبتمبر1919، أما من الجنوب فقد ظهرت الحاجة إلى وضع معالم تفصل بين الاراضي الجزائرية وبقية الأراضي الافريقية بعد أن وضعت فرنسا يدها على بلدان الساحل الإفريقي، وقامت بتقسيمها إداريا لتسهل إدارتها، فجاءت معاهدة نيامي 30 جوان 1909 والتي أكملت اتفاق إعلان المبادئ الصادر في 1905 وقد أقرت من طرف رئيس المجلس1911[2] في 16 أوت وبذلك إستكملت فرنسا إحتلال الجزائر في الوقت الذي وضعت فيه إطار قانوني

[1] _ المرجع السابق، ص ص 95ـ112.

[2] _علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954**- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2008/2009، ص122.

لإدارة مناطق الجنوب بعد أن خضعت أغلب الصحراء لسلطتها العسكرية بإحتلال إقليم توات في 10 فيفري 1901، وقررت تقسيم البلاد إلى قسمين: الشمال والجنوب، وشرع البرلمان الفرنسي في إصدار القوانين لتحديد الوضعية القانونية للصحراء الجزائرية فتم إنشاء مناطق الجنوب العسكرية في 1902 حيث قسمت إلى:

المنطقة الأولى التي سميت بالهضاب الأطلس الصحراوي وتضم مشرية، البيض، عين الصفراء، الجلفة، والأغواط المنطقة الثانية والتي تضم الزيبان(بسكرة)، وادي ريغ (تقرت) وادي سوف(الوادي) إلى جانب وادي ميزاب (غرداية)- المنطقة الثالثة والتي سميت بالصحراء الكبرى والتي تضم كولومب (بشار) تيميمون، ورقلة وبمقتضى قانون 24 ديسمبر 1902 عين على رأس كل منطقة قائد عسكري يكون تكليفه بواسطة قرار حكومي، ويهتم بإدارة الشؤون العسكرية والإدارية، وتم تقسيم كل أرض إلى دائرة وملحقات، أو مراكز، فصارت أراضي الجنوب من الجانب القانون عبارة عن مستعمرة خاصة لها إدارتها وأملاكها، ويحق لها أن تعقد صفقات القروض، وتمنح امتياز إنشاء السكك الحديدية، وإقامة المشاريع الكبرى للأشغال العمومية، ولكنها ترتبط عضويا بالجزائر الشمالية، والحاكم العام، وإداراته المختلفة حسب مقتضيات القانون حتى تبقى الوحدة السياسية بين طرفي الجزائر، وتخضع لسلطة واحدة يجمعها الحاكم العام للجزائر، وليس لهذه التقسيمات إلا وجه واحد هو التنظيم الإداري والمالي للمنطقة، والتحكم أكثر في السكان؛ وحتى تتجنب الدولة الفرنسية أن تستولي ميزانية الجزائر على موارد الجنوب الضئيلة فتنفقها على مشاريع الشمال، واستمر العمل بهذا التقسيم طوال نصف قرن، ثم عوض بغيره بعد الحرب العالمية الثانية[1].

حيث صدر القانون الأساسي للجزائر في 20 سبتمبر 1947 أو ما سمي بدستور1947، والذي بموجبه تم إلغاء المناطق العسكرية للجنوب، حيث نص في مادته رقم 50 على أن أقاليم الجنوب تعتبر كمقاطعات من الجزائر، وطبقا لهذا القانون تغير وضع

[1] _ علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص123.

الجزائر الإداري من ناحيتين؛ بإدماج أقاليم الجنوب في باقي الجزائر، والثانية هي اعتبار المجموعة الجديدة المتكونة من الجزائر الشمالية ومقاطعات الجنوب، وحدة إدارية ذات شخصية قانونية قائمة بذاتها، وحينئذ صارت الجزائر موحدة في أرضها، من الناحية القانونية دستوريا وإداريا[1].

2.أهم قبائل الجنوب الجزائري.

يتشكل الجنوب الجزائري من نسيج قبلي متعدد، وقد شاركت في ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى العديد من القبائل من مختلف المناطق، وقد شكّلت هذه الأخيرة العمود الفقري للثورة ودعمتها على امتداد مراحلها، ومن أبرز القبائل التي انضوت تحت لواء الثورة نذكر: قبائل البيض، أغواط كسال، طرافي، أولاد زياد، أولاد شعيب، المداقنات، أولاد جرير، حميان، الرزاينة، البكاكرة، أولاد سيدي الشيخ الغرابة، سكان القصور الجنوبية، أولاد عمور، الأرباع...، وتعتبر قبيلتي أولاد سيدي الشيخ الشراقة وشعانبة متليلي من أهم وأبرز هذه القبائل واللتين هما محور دراستنا.

1.2.قبيلة أولاد سيدي الشيخ :

ـ نبذة تاريخية عن أصل أولاد سيدي الشيخ:

ينحدر أولاد "سيدي الشيخ" من أسرة الخليفة "أبي بكر الصديق"[2](أنظر الملحق رقم1) فقد هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة بالحجاز، إلى مدينة الإسكندرية بمصر، ثم انتقلوا إلى تونس واستوطنوها، وينحدر منهم "سيدي محرز" الذي ما يزال قبره ومسجده حتى اليوم يمثل إحدى المعالم المعمارية الكبرى في مدينة تونس، حيث انتقل البعض منهم إلى

[1]_ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،ج 5**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص 88 ـ 94.

[2]_ F.Gourgeot, **Situation politique de l'Algérie**,Challamel aine, éditeur,librairie Algerienne et Coloniale,Paris,1881,p30.

جرجرة وتنس، وتلمسان بالمغرب الأوسط، ثم إلى غرناطة بالأندلس، ثم إلى فيقيق بالمغرب الأقصى، ثم عاد أحد الأحفاد إلى الجزائر وهو "سيدي معمر أبو العالية ، الموجود قبره على حافتي وادي "أربوات" التي تبعد عن منطقة "الأبيض سيدي الشيخ"(أنظر الملحق رقم 02) بحوالي 15كلم، وله مزار ثاني بتلمسان[1].

وفي الأخير استقروا بواحة "تانكريت" وهي واحة من الوحل والتي تعرف اليوم باسم "الأبيض سيدي الشيخ وسمي الأبيض نسبة إلى البئر الذي حفره" سيدي سليمان بن بوسماحة" وهو جد" الشيخ عبد القادر"[2] (أنظر للملحق رقم 03 شجرة النسب للشيخ سيدي عبدالقادر ابن محمد "سيدي الشيخ") في منتصف القرن9 م وهو ذو تربة بيضاء، كما احتوى هذا المكان أيضا على مسجد وأصبح مقرا للقاء تجار الجنوب والشمال للتبادل التجاري بين سكان توات وسكان مدن التل وبعد وفاة "سيدي الشيخ" حمل جثمانه إلى هذه المنطقة ليدفن فيها فتم التوصل إلى التسمية الجديدة بالمزج بين البئر وكنية الولي "سيدي الشيخ" لتصبح العبارة الأبيض سيدي الشيخ، بحيث تعتبر هذه المنطقة من أهم وأقدم مدن الجنوب الغربي تاريخا وحضارة، فقد تأسست بعد وفاة الأب الروحي لأولاد سيدي الشيخ في بداية القرن 10م بالجنوب الوهراني منذ مطلع القرن 16م، وذلك نسبة إلى الجد السادس

[1] _ محمد العربي السعيدي، **تاريخ أولاد سيدي الشيخ و المقاومة الصحراوية**، دار الجزائر الجديدة ،1995، ص ص 45 ـ 60.

[2] _ ولد في القرن (11هـ/17م) وقد درس سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بفقيق واستماله المذهب الصوفي فتتلمذ على يد سيدي محمد عبد الرحمن السهلي الذي أسس زاويته الشاذلية في السهول على بعد 13كلم من بوذنيب ناحية قصر السوق المغرب، بعد وفاة شيخه استقر بالزاوية ولكنه ما لبث أن غادرها وأسس زاوية جديدة بفقيق تسمى العباد نسبة إلى يحيى العباد بتلمسان، حيث يوجد قبر سيدي بومدين، ثم أصبح رحالة ينتقل بزاويته من فقيق إلى وهران وتلمسان، غير أن بعض علماء فقيق اتهموه بالزندقة، وانتقل في آخر حياته إلى نواحي الشلالة الظهرانية، إلى أن وافته المنية في شرق جبال القصور عام 1025هـ وحسب العياشي ما بين الكراكدة وارياوات ودفن بالأبيض، لذلك سمي هذا المكان اليوم بالأبيض سيدي الشيخ.أنظر: ميلاد عيسى، **الياقوتة في التصوف**، المطبعة المركزية، وجدة، (د-ت)، ص05-06 .

والعشرين وهو "عبد القادر بن محمد"، وكان يعرف بسيدي الشيخ المتصوف صاحب الطريقة "الصوفية الشيخية" [1](أنظر الملحق رقم 03).

وقد أنجب "سيدي الشيخ" ثمانية عشر ولدا مات منهم سبعة قبل أن يخلفوا والباقي إحدى عشر ولدا تتكون منهم ذرية أولاد سيدي الشيخ وهم:[2]

- الحاج ابن الشيخ: وأمه من بني عامر.

- الحاج عبد الحاكم والحاج إبراهيم، محمد عبد الله: و أمهم من توات.

- الحاج أبو حفص، عبد الرحمن المصطفى: أمهم بنت سيدي أحمد المجذوب.

- الحاج أحمد: أمه نصرانية أسلمت وهي دفينة خميس مليانة.

- الحاج محمد التاج، بن عيسى: أمهم بنت سيدي عبد الجبار الفجيجي.

وقد اشتهروا بالصلاح عدد كبير من حفدته وذريته، وقد انقسموا إلى قسمين: قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم، وعاشوا حياة البدو في الخيام مع عبيدهم وخدامهم،أما القسم الآخر استقروا في الناحية الغربية من القصر وكانوا أكثر عددا من القسم الأول، وانقسموا إلى قسمين آخرين:[3]

*قسم بزعامة الابن الأكبر "الحاج أبي حفص".

---

[1] _ وهي منبثقة من الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي إمام العارفين المؤسسة في القرن 13م. أنظر:خليفة بن عمارة ، **السيرة البوبكرية سيدي الشيخ**، تر: بوداود عمير، مكتبة الجودي مسعود، الجزائر، 2011.ج2 ، ص 123.

[2] _هو الابن الثالث لسي عبد القادر بن محمد عينه أبوه وليا ورئيسا على كل العائلة ووارثا لمقاليد الزاوية لما رأى فيه من طاعة وتبين وعدل، توفي سنة 1860. أنظر: مجموعة من المؤلفين: "**المقاومات الشعبية، والحركة الوطنية وثورة التحرير**"، المجلة التاريخية، العدد الأول، صدرت عن مديرية المجاهدين بولاية البيض، رمضان 1433هـ/ جويلية 2012 ،ص20.

[3] _ هو ابن سي عبد القادر بن محمد الذي ترك له أخيه سيدي الحاج بوحفص وصية ليخلفه على رأس الزاوية لأن أبناءه التسعة كانوا قصرا. أنظر:المرجع السابق، ص20.

*وقسم بزعامة الابن الثالث "الحاج عبد الكريم".

حيث استقر فرع أبي حفص في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، واستقر فرع الحاج عبد الكريم في غرب القصر الأبيض وأنشأوا كذلك لأنفسهم زاوية خاصة بهم، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، ومن هنا ظهر فرع الشراقة وفرع الغرابة من هذه العائلة[1].

وقد انقسم أولاد "سيدي الشيخ" إلى الشراقة و الغرابة عام 1845م[2]، عندما عين "سي حمزة"[3] ولد "سيدي الشيخ" خليفة على الجنوب الوهراني من قبل السلطات الفرنسية، ونظرا لمركز هذه العائلة الديني والسياسي بالمنطقة ارتبط سلاطين المغرب الأقصى معهم في مصاهرة وتزوج "السلطان عبد الرحمن بن هشام "سلطان المغرب من "السيدة الياقوت" شقيقة "سي حمزة " عام 1844م، وبعد إبرام معاهدة "لالا مغنية" في 23 أوت1845م بين سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وسلطان المغرب الأقصى من أجل تخطيط الحدود، بقي أولاد "سيدي الشيخ "منقسمين إلى قسمين:فرع الغرابة، وفرع الشراقة[4].

---

[1]_ Corneille Trumelet, "**histoire de linsurrction des oulad_ sidi_ ech_ chikh(sud_algèrien) de 1864 a1880**", revue africaine, alger, 1884,p83.

[2]_ F.Gourgeot,Op.cit,p40.

[3]_ ولد(1225هـ/1810م)، تولى الخلافة على الصحراء 1850م، استدعي إلى جريفيل ليقدم تهانيه إلى الوالي العام بمناسبة السنة الميلادية الجديدة، وتوجه رفقة جماعة من الأعيان وسافروا بالقطار وعند وصوله الى محطة الحراش ألقي عليه القبض عام 1860م، وعزل من منصبه كخليفة، قتل مسموما في 21 أوت 1861م.أنظر:

Cheikh si hamza boubakeur, **un soufi algeirien**, sidi cheikh, tome1, maisommeuve alarose, paris, 1990.

[4]_ يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د-ت)، ص ص 167-166.

2.2. قبيلة شعانبة متليلي :

ـ نبذة تاريخية عن أصل قبيلة شعانبة متليلي :

تعود أصول قبيلة الشعانبة إلى القبائل العربية الهلالية التي وفدت إلى شمال إفريقيا خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في إطار ما عُرف بـ الهجرة الهلالية التي سمح بها الفاطميون؛ ينتسب الشعانبة إلى بني هلال خاصة، ويُرجَّح أنهم من فرع زغبة الهلالي، وهم فرع من بني سليم أو بني هلال حسب بعض الروايات، ويُعرفون بطابعهم البدوي وارتباطهم الوثيق بالصحراء[1].

استقر الشعانبة بدايةً في المناطق الصحراوية الممتدة من تقرت إلى وادي ميزاب، ثم تمركزوا بقوة في منطقة متليلي، التي أصبحت مع مرور الوقت مركزًا مهمًا لهم، فسُميت بـ متليلي الشعانبة نسبة إليهم، وقد حافظوا على نسقهم الاجتماعي العربي البدوي، المعتمد على الدم، العصبية، والغزو، وهي سمات ميزت القبائل الهلالية في الشمال الإفريقي[2]، كما اشتهروا بكونهم فرسانًا ورُماةً مهرة، مما جعلهم قوة عسكرية معتبرة في المنطقة، وكان لهم دوراً بارزاً في العديد من الحركات الجهادية والثورات ضد الاستعمار الفرنسي، خاصَّة إلى جانب أولاد سيدي الشيخ[3].

تنقسم قبيلة الشعانبة إلى عدة فروع (بطون أوعروش)، تتوزع على مناطق مختلفة من الجنوب الجزائري، خاصة في متليلي والمنيعة وتقرت و ورقلة؛ وقد تشكلت هذه الفروع عبر

---

[1]_ عبد القادر خليفي، **ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الجزائري (1864–1884)**، دار الهدى، عين مليلة، 2014 ص 72.

[2]_ يحيى بوعزيز، المرجع السابق ، ص 159.

[3]_ سعيد عتبي، **القبائل العربية في الجزائر من خلال الوثائق الفرنسية**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص. 44.

قرون من الاستقرار والتحالفات الداخلية، وهي تمثل البنية القبلية التقليدية التي حافظ عليها الشعانبة حتى العهد الاستعماري.

من أبرز هذه الفروع نذكر:[1]

أولاد علي ، أولاد عبد الله، أولاد طويهر، أولاد خليف، أولاد خليفة، أولاد بن عيسى، أولاد موسى، أولاد بوخالفة، أولاد سيدي عبد القادر، أولاد سيدي أحمد بن موسى، أولاد سعيد.

تتميز هذه الفروع بروابط نَسَبية أو حلفية، وتخضع لتنظيم داخلي قائم على الأعراف والعلاقات القبلية، إذ لكل فرع شيوخه وممثلوه ضمن ما يُعرف بـ "مجلس العرش"، الذي يضطلع بتسيير الشؤون العامة كحل النزاعات، توزيع الأراضي، وتنظيم الدفاع المشترك.

كما أن بعض الفروع عُرفت بأدوارها البارزة في المقاومة الشعبية أو العلاقات الدينية، حيث ارتبطت بعض العروش بالزوايا، مثل زاوية سيدي عبد القادر، بينما اشتهر بعضها الآخر بالتنقل والتجارة عبر الصحراء[2].

المبحث الثاني : دور قبيلة أولاد سيدي الشيخ دينيا واجتماعيا.

1.تأثر أولاد سيدي الشيخ بالطرق الصوفية.

لقد عرف المجتمع الجزائري وجود التصوف مثل باقي العالم الإسلامي حيث شاعت الطرق الصوفية في الجزائر بشكل كبير منذ القرن16م، ثم بدأت تنتشر على نطاق واسع في النصف الأول من القرن18م، فقد تمكنت من المحافظة على وجودها لما لها من إلهام روحي وولاء شعبي، وقد ساعد على ظهورها في الجزائر التأثير الخارجي للمثقفين الذين كانوا يقصدون طلب العلم خارج ديارهم مثل دراستهم بجامع الزيتونة، القيروان، الأزهر، الحرمين

[1] _ عبد القادر خليفي ، المرجع السابق ، ص 72 .

[2] _ بول باسكون، **البنى القبلية في المغرب العربي**، تر: مصطفى التومي، دار توبقال، الدار البيضاء،1986، ص132.

الشرفيين، فكانوا يأخذون العهد عن شيوخ الطرق لأنه يعتبر جزء من طلب العلم، فلقد كان المشرق الإسلامي مصدرا للمذاهب الصوفية[1].

ـ أصل لفظ التصوف:

اختلف الباحثون في أصل لفظ التصوف، حيث وجدت عدة آراء في ذلك؛ الطرح الأول:إنه من الصفو أي صفاء النفس، ذلك إن تصفية النفس إحدى مستلزمات التصوف للوصول غلى الغاية القصوى، الطرح الثاني:إن التصوف نسبة لأهل الصُفَّة(جماعة من المهاجرين كانوا يبيتون في المسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، يداومون على العبادة) فسمّيوا الصوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَة،أما الطرح الثالث:إن المصطلح مشتق من الصف الأول تمثلا بأولئك الذين يحرصون على الصلوات، والطرح الرابع:التصوف كان نسبة إلى"الصوفانة" وهي نبتة في الصحراء كان يقتات عليها الزهاد، غير أنَّ أقرب التعاريف إلى الصحة هو الطرح القائل بأن الأصل في التصوف يعود إلى الصوف، الذي كان لباس الزهاد لمخالفتهم اللباس الفاخر[2].

ولقد انتشرت الطرق الصوفية في الغرب الجزائري بشكل مكثف ويقول في ذلك "أبو القاسم سعد الله ": ".. ونشير من الناحية الجغرافية إلى أن الغرب الجزائري قد انتشرت فيه الطرق الشاذلية، القادرية، الدرقاوية، التيجانية، بينما شاعت في الشرق الجزائري الطريقة الرحمانية...ولعل ذلك يعود إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق والى كثرة فكرة المرابطين في المغرب الأقصى، ثم إن الحجاج والرحالة المغرب كانوا يعبرون الجزائر

[1] _ زهرة بلمخفي ،**الطريقة الشيخية ودورها في الاحتلال الفرنسي** ، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي يابس، سيدي بلعباس 2013، ص 09.

[2] _عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت،2001، ص611.

ويدعون فكرة المرابطية فيها وينشرون مبادئ زواياهم وشيوخهم، كما كانوا يعودون بمثل ذلك من المشرق في طريقهم إلى المغرب..."[1].

ـ الطريقة الشيخية:

من بين الطرق التي أثرت في أولاد سيدي الشيخ ووجهتهم إلى الجهاد هي الطريقة الصوفية الشيخية التي تعتبر من أحدث الطرق الصوفية، فقد وجدت في الشمال الإفريقي ووسط إفريقيا وهي فرع من فروع الطريقة الصوفية الشاذلية، والتي نشأت مع مؤسسها " عبد القادر ابن محمد" المدعو "سيدي الشيخ"، الذي أخذها عن شيخه "محمد ابن عبد الرحمان السهلي" تلميذ "أحمد ابن يوسف الملياني الراشدي " وسندها المفصل في قصيدته الياقوتة منها:[2]

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا إليه انتهت فنون هذه الطريقة

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه تسلسلت الأشياخ أهل العناية

فأولهم في الذكر شمس وجودنا وقطب نهى علومنا اللدنيه

أبو عابد الاله يسمى محمدا الى عبد الرحمن يعزى بنسبه....

وقد تزامنت مع مطلع القرن16م، حيث كانت الجزائر تحت الحكم العثماني، وازدهرت في هذا العهد بسبب ما كان يكنه حكامه من احترام للطرق الصوفية ولعلمائها، وهذا ما سهل انتشارها بين الأوساط الشعبية وأعطاها مكانة مرموقة[3].

---

[1]_ أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ 14هـ ،(16م . 20م)** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1985، ص 268.

[2]_ ميلاد عيسى، المرجع السابق، ص 09 .

[3]_ محمد شفيق، **الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (1516-1830)**، دار الفكر العربي، الجزائر، 2005، ص 52-68.

فلقد كرس "سيدي الشيخ " صاحب الطريقة الشيخية حياته لتربية الأجيال وحل مشاكل الناس وتحفيز مريديه على الجهاد، حتى أنَّه توفي نتيجة تأثره بجروح خطيرة أثناء قتاله للأسبان، إنَّ هذا الشيخ مثال للنموذج الحي الذي جمع بين الشيخ المرابي والمجاهد الفعلي والذي يحمل في عقيدته "حب الوطن من الإيمان " فدفاعه عن وهران رغم بعد المسافة كان شغله الشاغل، وقد توارثت الأولاد والأحفاد العلم والجهاد[1].

ويرأس الطريقة " شيخ" تكون قد انتقلت إليه أسرار الطريقة عن سلف قبله ومهمته هي إعطاء الورد للمريدين وتعليمهم الأصول وطقوس الذكر وتنظيم الحياة الخاصة بالطريقة، ولهذه الأخيرة زاوية أصلية مقامة بالقرب من ضريح مؤسسها بمنطقة "الأبيض سيدي الشيخ" بالنسبة للشيخية، الى جانب زوايا فرعية في كل من منطقة يتواجد فيها المريدين مثل: زاوية الموحدين بالبيض، زاوية السخونة بسعيدة، زاوية متليلي عند الشعانبة، زاوية سيدي سليمان في بني ونيف ببشار، وزاوية عين الصفراء، زاوية قلعة الشيخ بوعمامة بمغرار التحتاني، وزاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى[2].

ـ سند الطريقة الشيخية:

لكل طريقة صوفية سند يرتبط به وسلسلة شيوخ تربطها بالرسول صلى الله عليه وسلم، صاحب الرسالة، عبر رجال مشهورين بالزهد والورع والعلم والمعرفة، وسند الطريقة الشيخية كالتالي:[3]

أخذ سيدي الشيخ طريقته عن الإمام الجليل وشيخه الأول محمد ابن عبد الرحمان السهلي (ت 990هـ) ، عن شيخه الشهير أحمد رزوق (ت 894هـ)، عن شيخه الحسن القرافي، عن شيخه تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري (ت 709هـ)، عن شيخه أبي العباس

[1]_ عبد القادر خليفة، **الطريقة الشيخية** ، دار الأديب ،الجزائر، 2006، ص 19.

[2]_ زهرة بلمخفي، المرجع السابق، 2012، ص23.

[3]_ خليفة بن عمارة، **السيرة البوبكرية:** المرجع السابق ، ص ص120–125.

المرسي(ت 686هـ)، عن شيخه أبي الحسن الشاذلي(ت 656هـ)، عن شيخه أبي محمد عبد السلام(ت 625هـ)، عن شيخه المدني أبو زيد عبد الرحمان العطار الزيات، عن شيخه أحمد الجعفر بن عبد الله بن أحمد الخزاعي(ت 642هـ)، عن شيخه أبي مدني شعيب الأندلسي(ت 520هـ)، عن شيخه أبو يغرى(ت 572هـ)، عن شيخه أبي الحسن علي بن حرزهم(ت 559هـ)، عن شيخه أبي بكر العربي القاضي العلامة الاشبيلي(ت 543هـ)، عن شيخه حجة الإسلام الغزالي حامد(ت 505هـ)، عن شيخه أبي طالب المكي(ت 386هـ)، عن شيخه الشرى السقطي(ت253هـ)، عن شيخه محمد الحبيب العجمي(ت 156هـ)، عن شيخه البصيري (ت 110هـ)، عن شيخه الصحابي الجليل علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه(ت 40هـ)، عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

ـ علاقة الشيخية بالأمير عبد القادر:

لقد ظهر تأثر "أولاد سيدي الشيخ" ممثلي الطريقة الشيخية بكل الطرق الصوفية التي تدعو إلى الجهاد ورفع الظلم عن البلاد والعباد، حيث تجسد ذلك في تقديمهم للمساعدة والمساندة الروحية والمادية للأمير عبد القادر عند مبايعته كأمير للغرب الجزائري وكقائد للمقاومة الشعبية المسلحة؛ لأنه ينتمي إلى أسرة دينية لها زاوية تنتمي إلى "الطريقة الرحمانية"، ووالده يحمل رتبة مقدم في "الطريقة القادرية"، ممَّا جعله يولي اهتماما خاصًّا بالزوايا وبطرقها الصوفية[2].

---

[1]_Ben Amara, Khelifa ,**Al-Sira al-Boubakria: Vie et vertus de Sidi Abd al-Qader Ben Mohammed, dit Sidi Cheikh**, Tome 2, Dar al-Farjani, Tunis, 1999.

[2]_ دخلت إلى الجزائر عن طريق الشيخ محمد ابن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف الجرجري الزواوي الأزهري.أنظر : محمد شاطو، **نظرة المصادر الجزائرية الى السلطة العثمانية في الجزائر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006 ، ص78.

في سنة 1845م اتفقت العائلتان الشراقة والغرابة على التحالف مع الأمير عبد القادر بن محي الدين وتنفيذاً لذلك سار "أولاد سيدي الشيخ" رفقة الأمير عبد القادر لحصار منطقة "عين ماضي" التي رفض سكانها الخضوع للأمير عبد القادر والتعاون معه وحسب الروايات المتداولة بالمنطقة فإن الأمير عبد القادر زار منطقة أولاد سيدي الشيخ وأقام فيها لمدة 14 يوما، وبعد تأكد فرنسا سنة 1845م من علاقات التعاون بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي "مولاي عبد الرحمن" سارعت إلى الضغط على العرش العلوي وفرض حدود جديدة بين الجزائر المستعمرة والمملكة العلوية من خلال معاهدة "لالا مغنية" سنة 1845م وهو أول بداية اعتداء معلن ضد المملكة الشريفة والقبائل المرابطة[1].

المبحث الثالث: العلاقة بين أولاد سيدي الشيخ وشعانبة متليلي.

لقد وفد أولاد سيدي الشيخ إلى متليلي منذ نهاية القرن السادس عشر ميلادي بقدوم جدهم الأول سيدي الشيخ ومن بعده ابنه سيدي الحاج بوحفص؛ الذي عاش في متليلي وبين الشعانبة ردحا من الزمن خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، ومنذ ذلك الحين أصبح الشعانبة يحترمون ويبجلون أولاده وأحفاده من أولاد سيدي الشيخ ويقدمون لهم الزيارات والهدايا وغير ذلك.

إنَّ العلاقة بين أولاد سيدي الشيخ والشعانبة علاقة روحية وتاريخية؛ حيث شاركوهم في المقاومات التي ثار خلالها سكان الجنوب على المستعمر؛ وتجسد ذلك خاصة في ثورة أولاد سيدي الشيخ، والشيخ بوعمامة، وبفضل هذه العلاقة الوطيدة مكث أولاد سيدي الشيخ بمتليلي، وأصبحوا أنسابا وأصهارا للشعانبة؛ فأولاد سيدي الشيخ أثناء نزولهم إلى المنطقة كانوا في البداية عبارة عن بضع عائلات فقط، غير أنهم ازدادوا بمرور الزمن إلى أن ضاقت بهم "شعبة سيدي الشيخ" فتوزعوا هنا وهناك عبر مدينة متليلي الشعانبة؛ وكان شعانبة متليلي

[1]_محمد ابن الطيب البوشيخي، **أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة التصوف والجهاد والسياسة**، ط1، مطبعة الجسور، المغرب، 2009، ص ص 185_186.

يدفعون سنويا وطواعية لأولاد سيدي الشيخ مجموعة من الهدايا والزيارات وقد حددتها المصادر الفرنسية، خلال القرن التاسع عشر بما يلي:[1]

ـ مائة شاة لسي الدين بن حمزة وسي قدور بن حمزة.

ـ ثلاثون جملا لسيدي الحاج بوحفص.

ـ مائة شاة لسيدي الحاج الدين.

إضافة إلى اثني عشر برنوسا تقدم إلى "خادم" سيدي الشيخ دحمان بن الشيخ وهو مقيم في متليلي، وأخيرا مجموعة من البرانس وعبايات من الصوف،السكر، القهوة ومواد غذائية أخرى تصل قيمتها إلى 1500 فرنك... كلها ترسل سنويا إلى بوعمامة[2]، كل هذه النذور تدفع سنويا عند الخروج إلى الصحراء في بداية فصل الخريف وتتحملها العروش الثلاثة الشعانبة برزقة.

ولشدّة ولائهم لأولاد سيدي الشيخ، فقد بني الشعانبة قبة سيدي الشيخ سنة 1881م في المكان الذي صلى فيه بمتليلي، وذلك مباشرة بعد قيام السلطات الاستعمارية بهدم ضريح الأبيض سيدي الشيخ عقب اندلاع ثورة بوعمامة، وفي نفس الفترة تقريبا تم بناء قبة سيدي الحاج بو حفص بجانب قبة سيدي الشيخ[3]، كما كانوا يقومون في كل سنة بإحياء زيارة سيدي الشيخ بمتليلي ويذبحون لخمس عشرة شاة وجملين ويعدون مائة قصعة من الطعام توزع على الجالسين من زوار القبة .

[1]_الشيخ لكحل، **مقاومة متليلي للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851-1908)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس،2018/2017، ص 37.

[2]_ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج 4 ، ص109.

[3]_H-M-P. de La Martinière et N. Lacroix : **Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain**, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897, t2, p862.

وقد بلغ من نفوذ عائلة أولاد سيدي الشيخ في المنطقة أنه كان يتعين على كل القوافل التجارية المتجهة إلى ميزاب دفع غرامة قدرها فرنك واحد إلى زاوية سيدي الشيخ عند مرورها بمتليلي، وبمرور الوقت قامت السلطات الفرنسية بإلغاء هذا التقليد، ورغم انقسام أولاد سيدي الشيخ إلى فرعين شرقي وغربي، فإنّ الشعانبة كانوا يجلون كلا الفريقين، إلا أنهم كانوا في بعض الأحيان يفضلون أحدهما على الآخر على حسب علاقته بالثورة والجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، وقد لاحظ دي لامارتينيار (De La Martiniere) تفضيل شعانبة متليلي لبوعمامة، أواخر القرن التاسع عشر، حيث أكد ذلك بقوله: "منذ بضعة سنين، أصبح شعانبة متليلي لا يدفعون الأموال والهدايا لأولاد سيدي الشيخ الشراقة كما كانوا من قبل، وأصبحوا لا يولونهم اهتماما كبيرا؛ والسبب هو أن الشعانبة – المتطلعين دائما للاستقلال والثورة أصبحوا لا ينظرون بعين الرضى الخضوع أولاد سيدي الشيخ لفرنسا. لأنهم كانوا دائما ينظرون لأولاد سيدي الشيخ كأبطال تحرير الجنوب فإذا بهم يغادرون الميدان ويقبلون ولو ظاهريا بهيمنة فرنسا؛ إن الشعانبة غيروا وجهتهم نحو هذا الذي لازال ثائرا منذ خمسة عشر سنة؛ أي بوعمامة.[1]

إذا فعلاقة شعانية متليلي بأولاد سيدي الشيخ لم تكن علاقة خضوع وتبعية "عمياء"، وإنما كانت علاقة ود واحترام وتبجيل، قد تأثرت في بعض الفترات بالأحداث السياسية خاصة فيما يتعلق بالمحتل الفرنسي، إلا أنها لم تكن تنحو نحو القطيعة.

المبحث الرابع :التوسع الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري1845م.

بعد إمضاء "الداي حسين" لمعاهدة الاستسلام وبسقوط مدينة الجزائر في أيدي الجيش الفرنسي، وبما أن أهل الجنوب لم يكونوا على وفاق مع السلطة العثمانية في الجزائر لأنهم كانوا يعتبرون الضرائب التي يدفعونها أثناء مشترياتهم بالتل باهضة الثمن ومع ذلك شعروا

[1] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص ص 38.39.

بان الهزيمة نوع من الاهانة التي لحقت بكل الجزائريين، فبعد انهيار النظام العثماني اختفى معه التنظيم الإداري (بايليك الغرب)، وبعد الاستيلاء على وهران بايعت قبائل الغرب الجزائري "الأمير عبد القادر" بن محي الدين لأنه رجل شريف من آل هاشم، وذلك 1832م أميرا عليها وقائد للمقاومة، فلم يتوانى في تحمل المسؤولية، فهو من أصحاب "الطريقة القادرية"[1]، ومن هنا أصبحت هذه القبائل تمثل القوة السياسية كما كانت الزوايا القوة المعنوية هي الأخرى حتى يتمكنوا من مواجهة الغزو الأجنبي[2].

فبعد الانتصارات التي حققها المارشال "بيجو"على القوات المغربية في موقعه "إيسلي" بالحدود المغربية في 1844م؛ وبموجب المعاهدة المنعقدة في طنجة يوم10 سبتمبر 1844م والتي شددت في بندها الرابع على محاصرة الأمير بالحدود الجزائرية المغربية، ففي سنة 1845م لجأ "الأمير عبد القادر" إلى الجنوب ونزل بين "أولاد سيدي الشيخ"، غير أن القوات الفرنسية قامت بتتبعه في هذه الجهات وعندها دخلت في مواجهات مع أولاد سيدي الشيخ في آواخر شهر أفريل، حيث توجه جزء من الجنود الفرنسيين إلى "مغرار الفوقاني" [3] ووقعت معركة مع السكان الذين احتموا بالمرتفعات واستشهد أثنائها من 15إلى20 شخص في مغرار التحتاني والفوقاني، وتم هدم المساكن وقطع النخيل وتخريب البساتين[4].

[1]_ وهي طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي، ونشأت في العراق في القرن 12م، ثم وصلت الى إفريقيا في أواخر القرن15م، وهي تنسب الى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني.أنظر : زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م الى القرن 20م**، مذكرة الماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، 2009، ص 50 .

[2]_جمال حريشة، إبراهيم مياسي: "**حياته وآثاره ومنهجه في الكتابة التاريخية**"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد23 ، العدد1، 2022، ص214.

[3]_ تقع جنوب عين الصفراء بحوالي 55كلم يقطنها عنصرين أمازيغ زناتة والعنصر العربي بني عامر.أنظر: بن عمارة خليفة، **النسب الشريفة...**، المرجع السابق، ص120.

[4]_ إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص ص 215_ 216.

في شهر ماي من عام 1845م عادت السرية إلى" تيوت"[1]، والتي لم يعد سكانها إليها فقامت بالسلب والنهب وتخريب كل ما وجدته في طريقها، كما وصلت في الخامس من شهر ماي عام 1847م سرية الجنرال "كافينياك" إلى قصر العين الصفراء، فوقعت خلالها اشتباكات عنيفة مع السكان،اضطر على إثرها الجنرال "كافينياك" إلى الانسحاب نحو منطقة "الصفيصفة"[2] في السابع من نفس السنة أين وجدوا العديد من الأبواب مسدودة بالطين فتم إخلاء القصر قبل وصول الجنود الفرنسيين الذين لم يجدوا أمامهم سوى البساتين فخربوها،واتجهوا نحوا "سبدو" في الشمال ليصلوا الى تلمسان[3].

عامان بعد ذلك انطلقت سرية أخرى مدعمة ب 2300 جندي تحت قيادة الجنرال "بيليسي" والتي تابعت نفس مسار سرية الجنرال "كافينياك"،مر خلالها الفرنسيون "بعسلة"[4]، وفي السادس أفريل بلغوا "تيوت" أين وجدوا القصر خاليا من السكان، فتم نهب القصر وتخريب البساتين، نفس الشئ بالنسبة لمغرار التحتاني ومغرار الفوقاني وطيلة السنوات الموالية حاول الفرنسيون فرض سيطرتهم على هذه المناطق في الجنوب الغربي[5].

ـ دور المكاتب العربية في تكريس الاستعمار في المنطقة.

[1] _ تقع شرق عين الصفراء بحوالي 18 كلم وهي جمع للكلمة الامازيغية طيط (عين ماء) ينحدر سكانها من أمازيغ زناتة والعنصر العربي من بني عامر مر بها الملك الزياني أبوحمو موسى الثاني خلال النصف الثاني من القرن 13م. انظر: خليفة بن عمارة، **السيرة البوبكرية**...،المرجع السابق،ص123.

[2] _ تقع غرب عين الصفراء بحوالي 30كلم، وهي تسمية أمازيغية قديمة هي تقلقولت، كما أخذا هذا الاسم من شجرة الصفصاف الصغير المغروس قرب عين الصفيصيفة ينحدر سكانها من أمازيغ زناتة وهم نواتين من الشرفة الأدارسة وهما (أولاد زيان وأولاد عزوز). أنظر: خليفة بن عمارة، **النسب الشريفة**...،المرجع السابق، ص254.

[3] _ إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 213.

[4] _ تقع شمال شرق عين الصفراء بحوالي60 كلم يقطن بها عنصر أمازيغ زناتة والعنصر العربي من بني عامر، جاء في المنتصف القرن16م الشريف سيدي الحاج امبو دود الذي أنجب سلالته وسيدي أحمد المجذوب البوبكري الذي أنجب سلالته.أنظر: خليفة بن عمارة،**السيرة البوبكرية** ...، المرجع السابق، ص 130.

[5] _إبراهيم مياسي،المرجع السابق، ص 214.

لقد حاول الاحتلال الفرنسي منذ عام 1830م أن يجعل من الجزائر مكان لتجاربه الفاشلة، فعندما بدءوا يتوسعون ويبسطوا نفوذهم في مختلف المناطق الجزائرية واجهتهم صعوبات كثيرة من جراء رفض وامتناع الجزائريين على التعاون معهم ومهادنتهم، ولهذا قرر الجيش الفرنسي سنة 1833م إنشاء هيئة مكلفة بجمع المعلومات عن الجزائريين، حيث خلقوا بعض الأنظمة الإدارية بدءا من المكاتب العربية، فمنذ أن تولى الدوق "دوروفيقو" السلطة في بداية الثلاثينات أنشأ بمكتبه فرعا إداريا سماه المكتب العربي"cabinet arbe"، ثم تكلف الضابط "لامور ريسبير" بمصلحة خاصة تهتم بالاتصال بالسكان، وفي عام 1837م أطلق عليها اسم "مصلحة الشؤون العربية"[1].

وفي إطار التحايل والخداع ارتأت السلطات الفرنسية أن تتقرب من السكان لكسب ثقتهم فأغرت رؤساء الأهالي ببعض المناصب مثل الأغا، القايد، الخليفة...، وعوضتهم بضباط فرنسيون وذلك منذ مجئ الجنرال "بيجو"الذي تخل عن تلك المناصب، فصدر أمر ملكي فرنسي عام 1844م ينص على إنشاء "وظيفة مدير الشؤون العربية" تكون تحت سلطة الضابط العام أو الحاكم الأعلى في كل منطقة ليتولى رفع التقارير إلى الحكومة، ومن هنا تأسست المكاتب العربية بصورة رسمية و كانت مهامها كما يلي:[2]

تنظيم شرطة الأهالي، استخلاص الضرائب والغرامات بمساعدة الأغوات والقياد وشيوخ القبائل الخاضعين لفرنسا وإدارة السكان تحت إشراف حكام المقاطعات وضابطها، بحيث يتم تحديد قوائم الضرائب من قبل المكاتب العربية لتسلم إلى رؤساء الأهالي من أجل

[1]_ عمار بحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلام، الجزائر، 1997، ص129.

[2]_عبد الحميد بن هدوقة، **تاريخ الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي**، دار الثقافة، الجزائر، 1984، ص 112-118.

استخلاصها من السكان، ويأخذ عنها وصولات وقد تشكلت المكاتب العربية في كل مقاطعة أو عمالة من أجل إدارة شؤون السكان الجزائريين[1].

وقد تشكلت هذه المكاتب من عدة موظفين وهم: المدير، ضابط مسؤول عن الصحة وعن دفع المكافآت المالية، مترجمان، ضابط صف، خوجة، كاتب عربي، وكيل الضياف، حاجبان (الشاوش) وقد بلغ عددها عام 1865م في عمالة قسنطينة 15 مكتبا، عمالة الجزائر 14 مكتبا، وهران 12مكتبا، وفي كل مقاطعة توجد وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الأولى ووحدات ثانوية من الدرجة الثانية[2].

ورغم الأعمال التي أنشئت من أجلها المكاتب العربية إلا أنها في الحقيقة قد مارست أعمال مخالفة تماما لمهامها الأصلية لأن أفراد المكتب العربي كانوا في خدمة مصالح المحتل وليس المواطن الأهلي الجزائري فقد حملت سوى التسمية،لأن هذه المكاتب كانت في الحقيقة همزة وصل بين الجنس الأوربي (المعمرون) الذي جاء مع الاحتلال عام 1830م، وبين الأهلي الذي سكن البلاد منذ زمن طويل، فخدمت مصالح الأول على حساب الثاني[3].

وقد توسعت سلطة هذه المكاتب العربية وتقوى نفوذها حتى أصبح ديوان رئيس المكتب العربي السياسي هو المركز الحقيقي لحكومة المستعمرة، لكن بعد قيام ثورة 1848م وهي ثورة فرنسية والتي عمت أوربا أيضا،أصبح نظام المكاتب العربية يعاني من الضعف بسبب إلحاق بعض المناطق العسكرية بالسلطة المدنية، غير أنه في عام 1864م صدر قرار عوض هذا النظام بنظام الحكم العربي العسكري وبرز هنا دور المكاتب العربية العسكرية، ورؤساء الأهالي فأصبحت هذه المكاتب تمارس مهام جديدة منها: الحراسة، المراقبة، التوجيه السياسي والديني وحتى المالي والعسكري والإداري، وصارت تكون إدارة

[1]_ يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، دار البصائر، الجزائر،2009، ص 162.

[2]_ عمار بحوش، المرجع السابق، ص 130.

[3]_ عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية لشيخ بوعمامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2010، ص17.

مستقلة حتى عن الجيش، ورغم أهمية هذه المكاتب بالنسبة للسلطات الفرنسية إلا أن المعمرين لم يتقبلوا وجودها لأنهم رأوا أنها تحد من سيطرتهم على البلاد، بما أنها كانت تدعم السلطة العسكرية التي تتحكم فيهم فعملوا على أبعادها والقضاء على أجهزتها الإدارية، وقد وفقوا في كثير من المرات[1].

فلقد عانت منطقة الجنوب الغربي الجزائري من اضطهاد وتعسف الضباط الفرنسيين الذين تواجدوا بالمكاتب العربية على مستوى المنطقة، خاصّةً بعد أن استدعي الضباط القدامى إلى الحرب في إيطاليا وهم ذو الخبرة والمقدرة في التعامل مع الأهالي، وعوضوا بضباط جدد ليس لهم معرفة بأوضاع البلاد وطبيعة سكانها، بحيث أن ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى كان سببها المباشر هو المشاجرة التي حصلت بين الصبايحية التابعين للمكتب العربي "بجريفيل"[2] و"سي الفضيل" وهو كاتب "الباشاآغا سي سليمان" ابن الخليفة "سي حمزة".

[1] _ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 165.

[2] _ نسبة إلى العقيد الفرنسي جيري (Géry) الذي احتلها عام 1845م و أراد أن يجعل منها نقطة ارتكاز عسكري للتموين و إيواء و نقل الجيوش لعمليات غزو الصحراء و حاليا يسمى البيض. أنظر:

Rabia Moussaui,Géryville ou les sources taries, ENA éditions, Alger,2003, p25.

الفصل الأول:

انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ

المبحث الأول: تسرب النفوذ الفرنسي داخل أولاد سيدي الشيخ.

المبحث الثاني: أسباب الثورة.

المبحث الثالث: مراحل الثورة.

المبحث الأول:تسرب النفوذ الفرنسي داخل قبيلة أولاد سيدي الشيخ.

1.أوضاع قبيلة أولاد سيدي الشيخ وبروز شخصية سي حمزة:

كان "سي حمزة "ولد "سي بوبكر" وهو زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة[1]، ففي آواخر عام 1849م قرر هذا الزعيم أن يضع نفسه وأفراد عائلته تحت تصرف السلطات الفرنسية، وفي 1850م جمع إليه كبار أفراد أسرته من الشراقة ليستشيرهم في الأمر ومن بينهم: "قدور ولد الحاج الصحراوي" قائد سكان "هرر"، و"المولود بن عون الله"، و"محمد بن الأعرج "المعروف "بن الحاج قدور"، و"عبد القادر بن خالد " قائد سكان تيارت[2].

وإلتقى هؤلاء جميعاً في منزل "العربي بن الأعرج" قائد حميان الشراقة يوم 15 جانفي 1850م، وتداولوا الأمر واتفقوا على فكرة "سي حمزة "، وكلفوه هو و"سي معمر"، و"الحاج جلول " على الاتجاه إلى تيارت لإبلاغ السلطات الفرنسية بقرارهم ، وأقنع ابن عمه "الشيخ ابن الطيب" زعيم الغرابة بأن ينوبه في هذه المهمة، فغادر البيض يوم 17 جانفي إلى تيارت[3].

وفي الوقت الذي كان الوفد في طريقه إلى تيارت تغيب "سي حمزة " وانقطعت أخباره لمدة شهرين على الفرنسيين وفي شهر مارس أرسل رسالة إلى حاكم تيارت الفرنسي يؤكد له قدومه إليه، فقررت السلطات الفرنسية في شهر أفريل تعينه خليفة على أولاد "سيدي الشيخ" الشراقة واشترطت عليه أن يقدم نفسه إليها، ويتخلى عن هذا التردد، ففي شهر جوان اتجه "سي حمزة" إلى المعسكر الفرنسي واستقبله رئيس المكتب العربي لمدينة معسكر بحضور

---

[1] _F.Gourgeot, **Situation politique de l'Algérie**,CHALLAMEL AINÉ, ÉDITEUR LIBRAIRIE ALGÉRIENNE ET COLONIALE,Paris,1881,P12.

[2] _ كورناي ترواملي، **الفرنسيون في الصحراء، يوميات حملة في الحدود الصحراء الجزائرية**، تر: محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 113.

[3] _المرجع السابق، ص 114.

أخيه "سي النعيمي"[1] الذي كان قد خضع قبله للفرنسيين، حيث أن "سي النعيمي" حاول أن يفسد هذا الاجتماع بأن يغتال أخاه "سي حمزة" بواسطة مؤامرة[2].

وفي عام 1851م عاد "الشريف محمد بن عبد الله" [3] من المشرق، وتزعم حركة المقاومة ضد الفرنسيين في الواحات الشرقية، واتخذ ورقلة عاصمة له وأعلن نفسه سلطانا عليها وعلى ما يجاورها من المناطق والواحات وحاول أن يقنع "سي حمزة " بقطع صلته مع فرنسا لكنه لم يوافق بحيث اقتادته السلطات الفرنسية إلى وهران، ووضعوه في شبه إقامة جبرية لمدة عامين، لكن أخوه "سي النعيمي "استغل الوضع لصالحه فتقرب من الفرنسيين أكثر وعيّنوه قائدا على آغوية تشمل اثني عشرة قيادة، لكنه لم يبق طويلا في هذا المنصب والتحق بابن عمه "الشريف محمد بن عبد الله" بورقلة، وأصبح تابعا له.

وبعد ذلك قررت فرنسا رفع الإقامة الجبرية على "سي حمزة" وإعادته إلى منصبه السابق كزعيم ورئيس سياسي لأولاد "سيدي الشيخ" الشراقة وعندما أعد "بيليسي" حملته العسكرية ضد "الشريف محمد بن عبد الله "صحب معه "سي حمزة" على رأس سبعمائة فارس، فأظهروا حماسا قويا في مقاومة قبائل "الأرباع " و"أولاد نايل" في "واد النساء" الذين كانوا يؤيدون "محمد بن عبد الله "، حيث كسب هذا الأخير ثقة الفرنسيين من جديد، كما اقتحم مدينة الأغواط مع "بيليسي" وبعد هذه الأحداث أسند الفرنسيون إليه مهمة ملاحقة "محمد بن عبد الله " و"سي النعيمي" إلى ورقلة، وأعدوا له قوات كبيرة قادها من البيض يوم 03 نوفمبر 1853م ومر "ببريزينة" (تقع جنوب البيض بحوالي 83كلم) و"متليلي"، وحضر

---

[1] _ ولد سنة 1819م عين آغا على ورقلة سنة 1850م ثم انضم إلى صفوف الشريف بن عبد الله ثم تخلى عنه وانضم إلى صفوف سي حمزة وعين آغا على قبيلة حميان الشافية اغتيل سنة 1856م. أنظر: مجموعة من المؤلفين:" **المقاومات الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير**"، المجلة التاريخية، العدد الأول، صدرت عن مديرية المجاهدين بولاية البيض، رمضان 1433هـ/ جويلية 2012 ، ص 21.

[2] _ يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 166-167.

[3] _ هو ابراهيم ابن ابي فارس كان يضيف كلمة (المدني) لتوقيعه الرسمي تذكر بعض الروايات انه من عائلة أولاد سيدي الشيخ .أنظر: أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الحركة الوطنية** ،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992، ص357.

إليه أخوه "سي الزبير"[1] و"الشيخ الطيب" وأعلنا له تخليهما عن "محمد بن عبد الله " وانضمامهما إليه، فقوى مركزه أكثر واتجه إلى "نقوسة" وتمركز في قصر "الشيخ الطيب" (زعيم الغرابة) واقتحم "الرويسات" (واحة قرب ورقلة)، ثم اتجه إلى ورقلة ضمن سياسة فرنسا التقليدية فرق تسد، واضطر "الشريف محمد بن عبد الله " أن ينسحب إلى الجنوب باحثا عن الأنصار الجدد والمؤونة والأسلحة كما أجر اتصالات مع ابن لحرش وبأغا أولاد نايل من أجل الانضمام إلى ثورته التي أعلنها ضد الجيش الفرنسي[2].

1.تعيين سي حمزة خليفة:

بسبب النجاحات الكبيرة التي حصل عليها سي حمزة في أحداث الأغواط وورقلة خلال عام 1853م، كرمه الفرنسيون وعينوه خليفة على كل المناطق التي تمتد من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة في الواحات الشرقية وعينوا أخاه"سي الزبير" قائدا على آغوية ورقلة، حيث بقي"سي حمزة" خليفة لمدة ثمانية أعوام، وتوفي "سي حمزة" بالجزائر العاصمة يوم 21 أوت 1861م؛ وانتشرت إشاعات بأنه قتل مسموما، في حين ادعى الفرنسيون بأنه مات بمرض الكوليرا، وخلف وراءه أخوين هما:"سي الأعلى" و"سي الزبير"، وستة أبناء هم:"بوبكر، سليمان، محمد،أحمد، قدور، الدين"فاختار الفرنسيون ابنه الأكبر "سي بوبكر"[3] وعينوه في مكانه، بلقب "الباشا آغا" الذي هو أقل رتبة من لقب الخليفة، حيث حاول الفرنسيون أن يجربوا إخلاصه مثل أبيه "سي حمزة " فكلفوه بملاحقة "الشريف محمد بن عبد الله" الذي كان في العراق[4].

---

[1] _ ولد عام 1825م كان من المؤيد لسي حمزة في محاربة الشريف محمد ابن عبد الله في 1853م عين قائدا على أغوية ورقلة، توفي سنة 1879م.أنظر: مجموعة من المؤلفين، **المقاومات الشعبية...**، المرجع السابق ، ص 21 .

[2] _ يحي بوعزيز ،المرجع السابق ، ص 167.

[3] _ هو الابن الأكبر لسي حمزة، عين بعد وفاة أبيه بلقب باشاغا، توفي في 1862م . أنظر: مالك بحوص ، **ثورة أولاد سيدي الشيخ**، دار المغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص80.

[4] _Cheikh si hamza boubakeur,**un soufi algeirien**, sidi cheikh, tome1, maisommeuve alarose, paris, 1990,pp141-142.

2.تعيين سليمان بن حمزة باشا آغا و ثورته:

لم يبق"سي بوبكر"مدة طويلة في منصبه فقد توفي عام 1862م؛ حيث أنَّه قتل مسموماً من طرف إحدى زوجات أبيه بزاوية الشراقة، وأهم دور أداه للفرنسيين اعتقال الزعيم "الشريف محمد بن عبد الله"، حيث عين الفرنسيون في مكانه أخاه"سليمان بن حمزة"[1] بنفس اللقب والرتبة، وعينوا معه"سي الأعلى"[2] (أنظر للملحق رقم 05) قائدا على آغوية ورقلة في مكان"سي الزبير"الذي كان يعاني مرضا مزمنا، لأن "سي الأعلى" كان يكن أحقادا ضد الفرنسيين، فأخذ يسعى ويحاول أن يدفع ابن أخيه "سي سليمان" إلى الثورة والتمرد ضدهم مستغلا عدة ظروف مثل: رحيل القوات الفرنسية إلى الحرب والغزو الاستعماري في المكسيك و"الكوشنشين" بالهند الصينية، ولم يتوقف عن محاولاته حتى نجح في رميه في خضم الثورة أوائل عام 1864م[3].

المبحث الثاني: أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ.

1.الأسباب المباشرة و غير المباشرة:

1.1.الأسباب غير المباشرة:

[1]_ ولد عام 1843م، خلف أخاه سي بوبكر، استشهد في 08 أفريل 1867م بمعركة عوينة بوبكر. أنظر: مجموعة من المؤلفين، **المقاومات الشعبية...**، المرجع السابق، ص 20.

[2]_ ولد سنة 1820م عين آغا على ورقلة خلفا لسي الزبير بعد مرضه ثم التحق مع ابن أخيه في ثورته، استمر في المقاومة حتى جويلية 1895م ،سلم نفسه بسبب العجز البدني، واستقرا في كرزاز حتى توفي سنة 1896م ودفن في قبة سيدي الحاج الدين. أنظر : المرجع السابق، ص 21.

[3]_Cheikh si hamza boubakeur,Op.cit, pp167-168.

أولا: سوء سياسة المكاتب العربية اتجاه السكان، بعد أن استدعى ضباطها القدماء ذو الخبرة في معاملة الأهالي للعمل في حروب ايطاليا والمكسيك وعوضوا بضباط جدد جهلاء، حيث اتصفت سياستهم بالشراسة وعدم مراعاة مشاكل الناس.

ثانيا: قيام السلطات الفرنسية بإرهاق السكان بالضرائب والغرامات، ومصادرة أملاكهم العقارية والحيوانية، قصد إفقارهم حتى لا يثوروا ضدها، كذلك لتوفير الإمكانيات للجيش الاستعماري وللمعمرين الأوربيين الجدد حتى تسهل استقرارهم وتمركزهم، كما طبقت هذه السياسة في سائر أنحاء الجزائر[1].

ثالثا: قيام السلطات الفرنسية بحملات التشهير والتحفيز ضد الجزائريين بواسطة الصحافة والمعمرين وأجهزة الإدارة، وذلك باعتبار أنها احتلت البلاد بالقوة أو من حقها أن تذل سكانها وتهينهم.

رابعا: قيام السلطات الفرنسية بالإنزال من مركز عائلة أولاد سيدي الشيخ إداريا، عندما قامت بخلع "سي بوبكر" و"سي سليمان" أولاد "سي حمزة " للقب الخليفة واستبدلته بلقب "الباشا آغا" ووضعهم تحت تصرف قواد جدد مستقلين يتبعون ضباط المكاتب العربية في البيض وغيرها[2].

خامسا: ثورة "سي سليمان بن حمزة" وأفراد عائلته بسبب ما حصل في مدينة القرارة بمنطقة "وادي مزاب"، والمشاجرة التي وقعت بين الصفين الشرقي والغربي عام 1864م، وتمكن رئيس الصف الغربي "إبراهيم بن بوهون" من شراء تأييد الباشا "آغا سليمان "ورئيس شعانبة متليلي، ومخادمة ورقلة، فشن هجوما على خصومه ونال منهم، بحيث طلبت السلطات الفرنسية من "سي سليمان " أن يوقف هؤلاء المعتدين لكنه لم يفعل ذلك وأخذ

[1] _ مجموعة من المؤلفين ،المرجع السابق، ص ص 13-12.

[2] _ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 171.

يستعد منذ ذلك اليوم للثورة المسلحة، وأكد لأفراد عائلته بأن الفرنسيين الذين قتلوا أباه "سي حمزة" وأخاه "سي بوبكر" لا يترددون في قتله كذلك والتخلص منه[1].

2.1.السبب المباشر لاندلاع الثورة:

ففي29جانفي1864م، اجتمع"سي الفضيل بن علي خوجة" كاتب "الباشا آغا سي سليمان"، وعدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في ساحة قرية البيض، وأخذوا يلعبون لعبة "الهف" وهي لعبة تشبه لعبة الشطرنج وذات شهرة ومنتشرة كثيرا في معظم مناطق الجنوب الوهراني، وكان معهم عدد من الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض؛ وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية لصالح بعض اللاعبين فغضب "سي الفضيل" عليه وأدى ذلك إلى حصول مشاجرة بينهما انتهت بتدخل كل الصبايحية ضد "سي الفضيل"، وقيامهم بضربه ولم يكتفوا بذلك فاقتادوه إلى مقر المكتب العربي بأمر من الملازم "بوران " "borin" وعوقب هناك، وعندما علم " الباشاآغا سي سليمان" بالحادثة أسرع إلى مقر المكتب العربي واحتج لدى الضابط الفرنسي وأطلق صراح كاتبه، وأخذه معه واعتبر الحادث إهانة شخصية له ولعائلته كلها واستغله لإعلان ثورته[2].

ففي يوم 01 فيفري1864م؛ تخلى عن وظيفته بصورة غير رسمية وغادر مقر إقامته بالبيض، واتجه إلى الجنوب عبر "واد زرقون"، وصحب معه إخوانه وعمه "سي الزبير" وعدد من أفراد عائلته، ونزل بقرية "الحاج الدين" قرب "بريزينة" وتداول هناك الأمر مع من معه، وانتهوا إلى اتخاذ القرار الحاسم وهو شن ثورة مسلحة ضد الفرنسيين، فعين "الباشا آغا سي سليمان "مجلسا عسكريا من عشرة أشخاص، أبرزهم كاتبه "سي الفضيل" الذي عينه "قاضي الجهاد" وعمه "سي الأعلى" آغا ورقلة، وبعد هذا القرار كلف "سي سليمان "كاتبه "سي

[1] _ إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1996، ص31.

[2] _C.Trumelet , **histoire de linsurrction des oulad_ sidi_ ech_ chikh(sud_algèrien) de 1864 a 1880**, revue africaine, alger, 1884, p 10.

الفضيل" بتحرير رسالة(أنظر إلى الملحق رقم 06) إلى كل القبائل والعروش والمقاديم، والإخوان التابعين لزاوية العائلة، ودعا فيها إلى حمل السلاح للجهاد ضد الفرنسيين[1].

وبعد أن علم الناس بهذه الرسالة أخذوا يتوافدون على "سي سليمان "في معسكره ومن ضمنهم أهل الأغواط، وسكان هرر وشعانبة برزقة، وأيضا حضر إليه ابن عمه "الشيخ بن الطيب" زعيم فرع أولاد "سيدي الشيخ الغرابة" الذي حضر من المغرب الأقصى وكذلك "جلول بن حمزة" الذي جاء من المنيعة و"ناصر بن شهرة" وكان معه جماعة من سكان الأرباع[2].

كما اتصل "الباشا آغا سليمان" بعمه "سي الأعلى" بورقلة وطلب منه أن يستعد فلبى النداء وجند كل بدو ورقلة، كما اتصل أيضا" سي الأعلى" بابن أخيه "الباشا آغا "في نومرات شمال متليلي، حيث اختارها "سي الأعلى" مقر لتجميع الثوار المسلحين، ومتليلي مكانا لبدء العمليات العسكرية، وفي يوم 26 فيفري بدءوا في استعمال العنف في منطقة "واد النساء" ضد الذين حاولوا معارضة الثورة من الشعانبة، والمخادمة، مما جعل حاكم الأغواط "سوزوني" "suzzoni" يرسل الضابط "لوتولي" "letellier" رئيس المكتب العربي إلى هناك لمواجهة المشاكل ومحاولة تهجير السكان الموالين للسلطات الفرنسية حتى لا يتأثروا بالحوادث[3].

المبحث الثالث: مراحل ثورة أولاد سيدي الشيخ.

1.المرحلة الأولى: (1864م-1867م)

أ) – معركة عوينة بوبكر (08 أفريل 1864م):

[1]_ العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص 195-196.

[2]_Cheikh Si Hamza boubakeur,Op.cit ,p 168.

[3]_Trumelet: Op.cit,p 12.

بعد اتفاق "أولاد سيدي الشيخ" استكملوا تجمعهم في" نومرات " وهي تقع جنوب متليلي آوائل شهر مارس، حيث اتجهوا إلى "واد زرقون "يوم 07 مارس وتوقفوا في "غدير أماك الحجيج "حيث كان "سي سليمان "يجمع الأسلحة ومواد التموين والرجال المسلحين من بريزينة ثم عاد إلى الغدير والتحق به هناك" أولاد يعقوب "الذين قدموا من جبال العمور، كما التحق به "سي الأعلى" مع عدد من المخادمة والشعانبة الورقليين، إلا أن السلطات الفرنسية بدأت في الاستعدادات لمواجهة "سي سليمان" حيث اتجه الضابط الفرنسي "بوبريتر "Beaupretre[1] حاكم تيارت بقواته إلى جبال العمور، ودعمت القوات الفرنسية في البيض بقوات إضافية أخرى، ووجهت أيضا قوات من الجزائر العاصمة إلى عين طاقين بجبال العمور، ووضعت تحت تصرف حاكم دائرة "بوغار" الذي كلف بالاتصال مع "بوبريتر" لتنسيق العمل ووصل إلى آفلو يوم 28 مارس[2].

وفي يوم 08 أفريل1864**م** وصل الضابط "بوبريتر" إلى هضبة "عوينة بوبكر" على بعد عشرين كلم إلى الشرق من مدينة البيض ففاجأه الباشا آغا "سي سليمان " بقواته التي تقدر بحوالي ثلاثة آلاف محارب، والتقى الطرفان في معركة طاحنة حيث قتل فيها "بوبريتر" و"الباشا آغا سي سليمان "وكانت نتيجة المعركة مشجعة للثوار كونهم قضوا على القائد الفرنسي.[3] وقد وصف أحد شعراء منطقة البيض "فشفوش ناصر" هذه المعركة بقوله:

في عوينة بكار ابناوا القنطاس او كتلوا بوبريط بلباسه لكحل

---

[1] _ ولد عام 1821م في مدينة صالان بجبال جيرا بفرنسا لأب كان مقاولا ونحاتا ومن صفاته كان جريئا وجاسوسا يستطيع جمع المعلومات الدقيقة وتبليغها لمسؤولي المخابرات وترقى في الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة عقيد وحاكم، قتل من طرف سي سليمان بن حمزة في معركة عوينة بوبكر يوم 08 أفريل 1864م. أنظر: زهراء بلمخفي، **الطريقة الشيخية ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي**، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2013، ص29.

[2] _ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص177.

[3] _ إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص40.

لعلى وسليمان محمد تـــ دارت هدنة مع اسيادي يا رجل[1]...

ـ الثورة بقيادة سي محمد بن حمزة:

بعد مقتل "سي سليمان" خلفه "سي محمد"[2] شقيقه زعيما جديدا للثورة وكان صغير السن حيث قام بمساعدته عمه "سي الزبير" و"سي الأعلى" الذي كان سندا له، حيث ابلغ سكان الطويلة وقصور جبال العمور ليمدوا الثوار بالمؤونة والمحاربين وكذلك أولاد يعقوب كما تدعمت الثورة بانضمام "الآغا النعيمي"، إليها على رأس عدد كبير من أتباعه في قصر الشلالة بدائرة بوغار بتيارت، حيث ذهب هذا الأخير مع أتباعه إلى رأس العين قرب طاقين، وهاجموا معسكرا فرنسيا وقتلوا عددا من الجنود الفرنسيين وأعوان الصبايحية، ومن بينهم "أحمد بن رويلة" الذي كان يقوم بمهمة التجسس والاستعلام ضدهم[3].

كما قام "سي محمد" زعيم الثورة بمهاجمة قوات الجنرال "مارتينو" "Martineau" في عين القطة يوم 26 أفريل حيث تفوق عليهم مما جعل السلطات الفرنسية تطلب نجدتها من وهران بقوات يقودها الجنرال "دوليني" "Deligny" وحاربه الثوار واعترضوا طريقه في جبل" ستيتن" (شرق البيض ب 23 كلم) يوم 15 ماي من نفس السنة، كما عسكر الثوار في يوم 16ماي بقصور الغاسول، بريزينة وتكلف الجنرال" يوسف"[4]بملاحقة "سي الأعلى" في جبال العمور ومنع السكان من الانضمام إليه فزحف إلى عين ماضي وقدم لهم "أحمد التيجاني " وأتباعه العون[5].

---

[1] _ مجموعة من المؤلفين، **المقاومات الشعبية...** ، المرجع السابق، ص 31.

[2] _ و هو ابن سي حمزة ولد عام 1845م حيث خلف أخاه سي سليمان في قيادة الثورة، استشهد سنة 1865م إثر جروح تلقاها في إحدى المعارك. أنظر: مالك بحوص،المرجع السابق، ص80.

[3] _Cheikh Si Hamza Boubakeur,Op.cit,pp181_182.

[4] _ هو جوزيف فينتيني، ولد عام 1809م بتوسكان فر إلى الجزائر في 1830م عن طريق دسائس السفرة الفرنسية بتونس، وترقى رتبة عقيد في 1843م، ثم جنرال 1845م ثم جنرال لفرنسا 1851م، توفي في 1866م .أنظر :كورناي ترواملي ،المرجع السابق، ص 120.

[5] _ المرجع نفسه، ص ص 46_47.

ـ استعدادات الفرنسيين العسكرية ضد الثورة:

أعدت فرنسا أربعة فرق عسكرية لمواجهة الثورة التي امتدت في كل الجهات الجنوبية للقضاء على الثوار وحركتهم ابتداء من يوم 10جوان1864م ومن بين الفرق:

الفرقة الأولى:

أسندت قيادتها إلى "دوليني"، توجهت إلى جنوب وهران انطلاقاً من البيض إلى الأبيض سيدي الشيخ (أنظر للملحق رقم 02) فهاجمت سكان قصر "عرباوات" وأخضعتهم بالقوة بعد أن غادر زعيم الثورة "سي محمد" واتجه إلى الجنوب.

الفرقة الثانية:

كانت بقيادة الجنرال "يوسف "حيث توجهت إلى جبال العمور لملاحقة "سي الأعلى" وأتباعه وقد حصل هذا الجنرال على ولاء "أحمد التجاني" حفيد محمد بن المختار بن سالم التجاني[1] وأتباعه في عين ماضي، ولكن الثوار ضغطوا عليه فنقل معسكره إلى مناطق أخرى أكثر آمنا له ولقواته.

الفرقة الثالثة:

[1] _ هو أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني أبو العباس، مؤسس الطريقة التجانية ولد سنة 1150هـ-1737م بالقرب من عين ماضي بنواحي الأغواط بالجنوب الجزائري، حفظ القرآن في سن مبكر ثم عكف على طلب العلم، فتلقى مبادئه على يد أساتذة أجلاء في عين ماضي وغيرها، و تنقل من بلد لآخر لدراسة التصوف، بعدها واصل مهمة أبيه في تدريس العلم وعمره 16 سنة وبعد خمس سنوات غادر عين ماضي إلى فاس ثم إلى تلمسان كما أخذ الطريقة الخلوتية عن محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ثم انتقل إلى الصحراء وبقي مدة طويلة في الأبيض سيدي الشيخ، ثم بوسمغون ثم إلى فاس حتى أدركته المنية بها سنة 1230هـ و دفن بزاويته المشهورة. أنظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف بالجزائر**، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2006، ص ص 97-98.

كان قائدها الجنرال "ليبير" "Liebert" ووجهت إلى جنوب مدينة تيارت للحفاظ على الأمن في هضبة السرسو، جنوب حوضي الشلف التي تعتبر منطقة عبور هامة بين الجزائر ووهران.

الفرقة الرابعة:

أسندت قيادتها إلى الجنرال "رونر"، الذي كلف بملاحقة "سي الأزرق بلحاج "مع "لاباسي" وغيره من الضباط و الجنود[1].

رغم هذا التجنيد الواسع للقوات الفرنسية؛ إلا أن الثورة واصلت سيرها وامتد تأثيرها شرقاً وغرباً كما ظهر في منطقة الحدود الغربية بقيادة (بوعزة ولد العربي) وشجع الناس على حمل السلاح، حيث استغل "سي الأعلى" حركته واتجه إلى منطقة سعيدة واحتل قرية الضاية، وأحرق المكتب العربي بها ثم ذهب إلى المشرية وأحرق مراكز المعمرين ومزارعهم حول قرية "برج سيدي علي أيوب"، كما اخترق جبال العمور إلى الجنوب، رغم وجود قوات "الجنرال يوسف" حيث أدخل الرعب في صفوف القوات الفرنسية وشدد عليهم الخناق، كما قام الثوار بمنطقة مزاب بمهاجمة المعارضين لهم وخربوا أملاك "الشيخ بوحفص" الموالي للفرنسيين في قرية نقوسة قرب ورقلة، كما انضم إلى "سيدي الأعلى" سكان الأغواط وجبال العمور ومنطقة بوغار، وجند الكثير من الرجال المسلحين وجمع المؤونة من عندهم وتمكنوا من احتلال "مسيف" جنوب غرب النعامة، وعين البيضاء شمال خيثر، وبعد هذه الأحداث عمل الفرنسيون على إخلاء معسكر الخيثر شمال النعامة بحوالي 120كلم؛ الذي أصبح معرضا للأخطار من طرف الثوار، ولقد نشط ثوار الشعانبة والمخادمة وهاجموا خصومهم والمعارضين لحركتهم، ثم واجهوا قوات "الجنرال يوسف" و"ليبير"[2].

[1] _ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص182.

[2] _ المرجع السابق، ص 184.

وفي 06 أوت 1864م اجتمع "سي الأعلى" و"ناصر بن شهرة"[1] في (حفرة الشاوش) واشترك معه بالمعارك التي دارت بالمنطقة ووصل في 21 أكتوبر من نفس السنة بوادي النساء جنوب بريزينة، ومنها واصل مسيرة عمله مع ثوار "أولاد سيدي الشيخ " إلى أن وصلوا إلى "سيد الحاج الدين" بصحراء الساورة مارين "بواد زرقون" و"محيقن" و"القرمين" و"تاجرونة" و"للماية"، إلى أن عصفت بهم الأحداث والتقوا جميعا "بواد ميزاب" قرب متليلي وأصبحوا يمثلون قوة هائلة بالمنطقة، لكن فرنسا أضعفتهم ماديا، حيث عمدت إلى حجز كل قوافل بني "ميزاب" حتى تسلط عليهم حرب التجويع[2].

في عام 1865م؛ رجع إلى ورقلة مع "سي الأعلى"، وتنقلا بين الشمال والجنوب وكانت خطتهم في مهاجمة ورقلة والاستيلاء عليها لكن خطتهم كشفت من طرف أعوان الفرنسيين من أهل "السعيد عتبة" فانسحب "سي الأعلى" بعد المعركة إلى جنوب شرق ورقلة يوم 02 فيفري 1865م عندما وصلته أخبار مقتل ابن أخيه "سي محمد" زعيم الثورة، أما ناصر بن شهرة فقد وقع أسيرا لدى الجيش الفرنسي، وسمح له بالسفر كلاجئ إلى تونس، لكن باي تونس رفض إقامته هناك وأجبره على الرحيل في 02جوان 1875م إلى الشام ليتوفاه الأجل هناك في 1884م[3].

ب) – معركة قارة سيدي الشيخ 14 فيفري 1865م:

قاد هذه المعركة "سي محمد" ضد الجنرال "دوليني" وجيشه المدعم من طرف المرتزقة والخونة بلغ عددهم 2880 قومي على رأسهم "قدور الصحراوي" الذي كان من أصدقاء "سي محمد"، ثم تحول إلى خصم له حيث تعاون مع الفرنسيين ضده، و"بلحضري ولد أحمد

[1]_ ولد عام 1804م بالأرباع قرب ورقلة، كان أبوه ابن شهرة، وجده فرحات قائدين وشيخين بالتوالي على الأرباع أنظر: عبد الوهاب بن خليف، **تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال الى الاستقلال**، ط1، دار طليطة، الجزائر، 2009، ص 80.

[2]_عيسى بوقرين، **انتفاضة ابن الناصر بن شهرة من 1851_1875**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2009، ص91.

[3]_ المرجع السابق، ص 92.

القاضي" أغا فرندة، حيث اقترب الأعداء من مخيم "سي محمد" الذي أقام زمالته بين "الواد الغربي" و"واد الناموس"، جنوب "الأبيض سيدي الشيخ" إذ بدأت المواجهة بين الطرفين حيث جرح "سي محمد" جروحا بليغة من جراء ثلاث طعنات واحدة في رأسه، والأخرى في كتفه، والثالثة في بطنه فسقط على الأرض مغشيا عليه، وحمله أصحابه إلى منازل أولاد زياد حيث انتهت المعركة بخسائر في كل من الطرفين، استشهد "سي محمد بن حمزة " في 22 فيفري 1865م[1] ودفن في "سيدي الحاج الدين"، واستمرت الثورة بقيادة "سيدي أحمد بن حمزة"[2].

ـ الثورة بقيادة سيدي أحمد بن حمزة:

وقد خلف "سي محمد" في قيادة الثورة شقيقه "سي أحمد" ولد "سي حمزة " وعمره لا يتجاوز أربعة عشر سنة وكان سنده عمه "سي لعلى" وأخيه "سي الزبير" الذين تزعما الثورة في هذه المرحلة، عند التقائهم "بحاسي بوزيد" لترتيب شؤون الثورة، حيث انضمت تحت لواء قيادته عدة قبائل من بينها أولاد زياد والرزاينة، وقسم من رحمان (مقاطعة الجزائر)[3]، وأولاد شايب بقيادة نعيمي ولد جديد، وأولاد نايل والأحرار وعكرمة، الرزيقات، أولاد مومن وقراريج (من الأغواط اكسال) وعائلات من استيتن وكذلك أهل ورقلة ومتليلي وبني مزاب، وهكذا استطاع "سي الأعلى" و"سي الزبير" أن يجمعا حولهما كل قبائل أولاد سيدي الشيخ، حيث خاض هؤلاء الثوار عدة معارك طاحنة ضد القوات الفرنسية، واعترضوا قوات العقيد "دي كولومب" "Decolomb" من أجل احتلال المواقع الإستراتيجية ومراكز الرعي مثل بوسمغون والشلالة وعرباوات وغيرها من المواقع، كما نشبت معركة "خنق سويز" 01 أفريل 1865م،

[1]_Cheikh Si Hamza Boubakeur,Op.cit,pp 194_195.

[2]_ ولد عام 1850م، وتوفي عام 1868م بمنطقة تافيلالت، وقد دفن في قبة سيدي عبد الرحمان الثعالبي. أنظر: مالك بحوص، المرجع السابق، ص 80 .

[3]_C. Trumèlet,Op.cit ,pp 291_292.

التي أسفرت عن قتل وجرح حوالي 30 مجاهد بينما خسرت القوات الفرنسية قتيلين وأربع مجاريح من بينهم ضابط وفارس من القوم[1].

وبعد هذه المعركة تمكن الضابط الفرنسي من الدخول إلى قصور" الأبيض سيدي الشيخ "لإخضاع أهلها للهيمنة الاستعمارية كما قطعت السلطات الطريق والإمدادات عن قائد الثورة "سي أحمد"، حيث دارت بين القوات الفرنسية والثوار المعارك والملاحقات؛ ثم زحفت القوات الفرنسية إلى مدينة البيض يوم 12 أفريل 1865م دون أن تنال من الثوار، كما منعت القوات الفرنسية المجاهدين من اقتحام التل الوهراني، ولهذا تمركزوا على الخط الممتد من "بوغار" إلى "سبدو"، وقد تقدم أيضا "سي الأعلى" ورجاله إلى جنوب منطقة سبدو وعسكر يوم 19 أكتوبر في "طيطن "بحي منابع وادي مقرة (قرب سيدي بلعباس)، وكان معه حوالي 1500فارس و100 من المشاة مع جمالهم، وانتقل بعد ذلك إلى عين تاقورابة ثم إلى عين ماضي فاقتحموها، فأظهر شيخها ميله إليهم، ممَّا دفع بالسلطات الفرنسية إلى إعتقال شيخ التيجانية مع 18 زعيما من القرية نقلوا بعدها إلى "بولوغين" بالعاصمة ثم إلى " بوردو "بفرنسا"[2].

ففي أواخر شهر ديسمبر توجه "سي الأعلى" وأخوه "سي الزبير" إلى بعض مناطق الشعانبة متليلي، والمخادمة، وضواحي غرداية، كما شدد الفرنسيون ضغطهم على السكان المتعاونين معه وأرغموا عددا من السكان منهم أولاد زياد المرازيق، أولاد بن زيان الدرارجة الغرابة، أولاد سرور، وأولاد موسى والعمارنة على الاستسلام[3]، بينما انسحب "سي أحمد" إلى شط تيقري بعد أن حصلت بينه وبين عمه "سي الأعلى"مواجهات، حيث قام "سي أحمد "في 01 جانفي 1866م بجمع عدد من الرجال وانتقل بهم إلى واد ساورة جنوب فيقيق، وحصلت بينه وبين سكان "ذوي منيع" مشاكل حول جمع الأموال والسلاح، أما "سي الأعلى" فقد تحرك

[1]_Ibid, p293.

[2]_ C. Trumèlet,Op.cit, pp 293-294.

[3]_Cheikh Si Hamza Boubakeur,op,cit, P 194.

من "حاسي بوزيد" إلى متليلي حيث اصطدم مع الشعانبة، ثم اتجه بعد ذلك إلى "قصر سيد الحاج الدين" ففاجئه "أحمد بن سليمان" وعدد من سكان الأرباع المتعاونين مع الفرنسيين، وانتزعوا منه عددا من الخيام وحوالي سبعمائة جمل، وقتلوا له أحد أعمامه المدعو "الشيخ بن الطاهر"، ومن التطورات التي حصلت خلال هذه الفترة أن "سي أحمد" كتب رسالة إلى حاكم عمالة وهران الفرنسي، حيث عرض عليه استعداده لإقرار السلم إذا قبلت السلطات الفرنسية أن تضع تحت تصرفه كل المناطق التي كانت تخضع لأبيه الخليفة "سي حمزة"، لكن القوات الفرنسية لم تجبه على مطالبه بل أمرت قواتها بالتحرك نحو الغرب الوهراني، من البيض، والأغواط، وبسكرة، فرد عليها "سي أحمد" بتجنيد عدد كبير من أنصاره التابعين لأولاد العمور، وأولاد جرير، وأولاد زياد حيث عزم على التقدم نحو الهضاب العليا لمنع تجمع القوات الفرنسية وتحطيم مشاريعها وصحب معه إلى المرازيق الآغا السابق "بوديسة المختاري"[1].

ج)_ معركة حاسي بن عتاب 16 مارس 1866م ونتائجها:

جهزت القوات الفرنسية طابوراً من مختلف الفرق يزيد عن ألفي رجل وأمرته بالتحرك نحو الشمال يوم 16 مارس 1866م تحت قيادة العقيد "دي كولومب" لمواجهة الثوار في "قعدة بن عتاب" حيث جرت معارك طاحنة بينهما، تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، حيث قتل لهم 42، وجرح 55 رجلاً من جنودهم وأعوانهم أما الثوار فقد فقدوا الكثير من أعوانهم لكن الفرنسيين تألموا من كثرة خسائرهم، لذلك أصدر الحاكم العام الفرنسي قراراً يوم 20 مارس يقضي بمصادرة كل أملاك عائلة أولاد "سيدي بوبكر"، و"أولاد سيدي الشيخ" وخاصّة وراثة "سي سليمان" و"سي محمد ولد حمزة" وثوار "سي أحمد ولد حمزة" بما فيهم عميه "سي الأعلى" و"سي الزبير"[2]،كما إستأنف العقيد "دي كولومب" تحضيراته من أجل تنظيم طابوره بالبيض لمعاودة اللحاق بالثوار وقائدهم "سي

[1]_Cheikh Si Hamza Boubakeur,Op.cit, P194.

[2]_ Ibid, p195.

أحمد" والانتقام منهم؛ حيث شهدت سنة 1866م عدة معارك طاحنة ضد القوات الفرنسية، برز خلالها العقيد "دي كولومب" الذي أحرز عدة انتصارات نظرا لخبرته ومعرفته بالمناطق الصحراوية.

د)_ معركة الشلالة في أفريل 1866م:

تغلب في هذه المعركة "دي كولومب" على الثوار نظرا لاختلال التوازن بين القوتين في العدة والعدد، وبعد معركة "حاسي بن عتاب" و"الشلالة"، تحرك طابور الأغواط في الليل تحت قيادة العقيد "دوسونيس" "Desonis" والمتكون من "القومية" والفرسان النظاميين، ومن 300 جندي من القناصة مع جمالهم، ليلاحق "سي الأعلى" نحو الجنوب، حيث وصل الطابور يوم 23 أفريل إلى "رأس المحاروق"، إذ غادرها "سي الأعلى" واتجه إلى "واد الناموس" غربا وعسكر هناك؛ غير أن القوات الفرنسية لحقته وهاجمت خيام السكان وأتباع الثوار، ففر الجميع بما فيهم "سي الأعلى" الذي سلبوا منه خيمته الخاصة، وأمتعته وبرنوسه الذي تولى به آغوية ورقلة وجواهر زوجاته وثيابه وطابع أخيه "سي النعيمي" ولد "سي بوبكر"، كما استولوا على عدد كثير من الأغنام والجمال، فكانت النتيجة قاسية على "سي الأعلى" وأتباعه حيث فقدوا الكثير من أرزاقهم، ولهذا حاول "سي الأعلى" مع أخيه "سي الزبير" الاتصال بالحاكم العسكري الفرنسي للبيض، لينظر في إعطائهم فرصة لخضوعهما لفرنسا لكن السلطات الفرنسية رفضت شروطهما.

من التطورات التي حصلت في هذه الفترة هي الاشتباكات التي وقعت بين فرعي أولاد "سيدي الشيخ" الشراقة والغرابة، بمنطقة الحدود الجزائرية المغربية، حيث أن أحد زعماء فرع الغرابة هو "سليمان بن قدور"[1] وعدد من فرسان "قبيلة الطرافي" هاجموا أولاد "سيدي أحمد المجذوب" فرد عليهم أفراد من "قبيلة حميان" ولاحقوهم إلى "واد قير" بالمغرب الأقصى، مما

[1]_هو ابن قدور أخ سي الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة ودخل في منافسة مع أبناء عمومته الشراقة. أنظر :إبراهيم مياسي، ص242.

أدى إلى تفاقم المشاكل داخل صفوف الثوار، ومع أواخر عام 1866م؛ اعتصم بعض أولاد "سيدي الشيخ الغرابة" في "واد قير" بزعامة "سي أحمد ولد حمزة"، والبعض الآخر بزعامة "سليمان بن قدور"، أما الشخصية الثالثة لأولاد سيدي الشيخ المتمثلة في "الشيخ بن الطيب" فقد انسحب إلى "تافيلالت" جنوبا، والتحق "سي الزبير" بمعسكر ابن أخيه "سي أحمد ولد حمزة" في الوقت الذي غادر فيه "سي الأعلى" المنيعة وعلى إثر معركة الشلالة تشتت رجال الثورة، وتوزع معظمهم عبر التراب الوطني وبذلك عرف الجنوب الغربي الجزائري بعض الهدوء ودخلت الثورة في مرحلة جديدة من مسيرتها[1].

2.المرحلة الثانية 1867م- 1879م:

لم تؤثر الهزائم الأخيرة على عزيمة "أولاد سيدي الشيخ " في مواصلة الثورة بل مازالت أمالهم قائمة في نيل النصر، فقد اعتصم الثوار بالجنوب والحدود الجزائرية المغربية لمعاودة القتال حيث استعملوا أسلوب حرب العصابات للتغلب على القوات الفرنسية، إلا أن هذه الفترة الممتدة من 1867م إلى1869م كانت فترة حرجة بالنسبة للجزائر كلها حيث ظهرت فيها أزمات متعددة منها الأزمة الاقتصادية وكوارث طبيعية، كالقحط والجفاف وإنتشار الأمراض والأوبئة كالكوليرا والطاعون إضافة إلى زحف الجراد، مما أدى إلى هلاك العديد من الأهالي[2].

ورغم هذه الكوارث فإن الثورة لم تقلل من نشاطها حيث واصلت الهجمات على المراكز الفرنسية انطلاقا من الحدود، كما انضم إليهم في هذه المرحلة" سي الطيب بن الشيخ" زعيم الغرابة، وساندهم في الثورة بإضافة انضمام فرق آخر "سي أحمد" بن حمزة، أولاد زياد الغرابة أولاد زياد الشراقة، أولاد عيسى، القراريج، الزريقات وغيرها من الفرق ،كما انضم "سي سليمان بن قدور" إلى الثورة عام 1867م وأبلى البلاء الحسن ثم غير موقفه

[1]_يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 180.

[2]_ إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص242-243.

واستسلم للفرنسيين عام 1868م حيث كافأته بمنصب آغا على البيض، وكلفته بضرب القبائل الموالية للثورة في مناطق النعامة والشلالة وبوسمغون وعسلة وتيوت وغيرها، وفي شهر أكتوبر 1868م توفي "سي أحمد" في تافيلالت على إثر إصابته بمرض الكوليرا عن عمر يناهز سبعة عشر عاما، حيث خلفه أخيه "سي قدور ولد حمزة" [1].

ـ الثورة بقيادة سي قدور ولد حمزة:

تمكن "سي قدور ولد حمزة" (أنظر للملحق رقم 05) من توحيد صفوف "أولاد سيدي الشيخ"، كما قام بتنظيم الثورة لمواجهة الحاميات العسكرية الفرنسية، ففي فيفري 1869م جرت معركة "بأم الدبداب" بين القوات الفرنسية المدعمة "بسي سليمان" وقوات الثورة وقد انتصر العدو في هذه المعركة، كان سبب الهزيمة الثوار:[2]

ـ يرجع إلى سوء التفاهم الذي وقع بين الأشقاء الشراقة والغرابة.

ـ انسحاب "أولاد سيدي الشيخ الغرابة" من الثورة ورجوعهم إلى المغرب.

ـ وصول أسرار الثورة إلى العدو فتمكن من معرفة تحركاتها وخططها فسهلت عليه عملية المواجهة.

رغم هذه الانتصارات فإن السلطات الفرنسية قامت بتدعيم قواتها لمواجهة الثورة فأرسلت عدة بعثات منها بعثة "وامبفين" "wimpfen"، التي تمكنت يوم 19 مارس من ضرب قبيلة حميان للانتقام منها لما قدمته من مساعدة ودعم للثورة، وكان هذا الانتصار

[1] _ ولد عام 1850م ،وهو من أم زنجية تدعى مباركة ، بويع بعد وفاة أخيه. أنظر : مالك بحوص ،المرجع السابق، ص81.

[2] _C. Trumèlet, op. cit, p300.

بفضل ما قدمه "سي سليمان بن قدور" الخائن، لهذا كافأته مرّة أخرى بإضافة آغوية حميان لسلطته، فأصبح بلقب بآغا البيض وحميان[1].

وبحلول سنة 1870م؛ تأثرت الثورة بالأحداث التي حصلت لفرنسا وانهزامها أمام بروسيا (ألمانيا)، ورغم هذا واصل "أولاد سيدي الشيخ الشراقة" جهادهم وضربوا مناطق العدو بالجنوب الغربي، بالإضافة إلى التعاون الذي تم بينهم وبين "محمد ابن التومي بوشوشة" مؤسس حركة التوارق بالصحراء، والذي بدأ هجومه على الفرنسيين في أفريل عام 1870م واستولى على متليلي في 05 ماي 1870م، ومن تلك الفترة أصبح قائدا للمقاومة في الجبهة الجنوبية للصحراء، وفي أواخر 1870م انتقل الى مركزه "بعين صالح "، ثم إلى "الرويسات" قرب ورقلة وبعدها إلى "واد سوف"، كما هاجم حامية ورقلة واستولى عليها وعين "بن ناصر بن شهرة" خليفة عليها كقاعدة ثورية، وهاجم في 13 ماي من نفس السنة "توقرت" وانتصر، إلا أن الفرنسيين شنوا هجوم كبير على "توقرت" في 27 ديسمبر 1871م، واحتلت ورقلة من جديد في 02 جانفي 1872م بعد معركة دامية، إستأنف بعدها بوشوشة حرب العصابات إلى أن وقع في الأسر، وذلك في مارس 1874م وحُكِمَ عليه بالإعدام بتاريخ 29 جوان 1875م[2].

لقد ظهرت أحداث أخرى في هذه السنة وهي ثورة الشيخين "المقراني والحداد" بالشرق الجزائري، حيث بدأت السلطات الفرنسية تتصل بزعماء "أولاد سيدي الشيخ"؛ من أجل وضع حد لحوادث العنف وإقرار السلم، وحصل الاتفاق بين "سي قدور ولد حمزة" و"سي قدور ولد عدة" آغا قبائل الصحراوي، على أن يلتقي الطرفان في "بوقرن" غرب الشط الغربي يوم 24 مارس 1871م، وبأن يكون "سي قدور ولد حمزة" مصحوبا بابن عمه "سليمان بن قدور" آغا البيض والحميان؛ إلا أن "سي قدور ولد حمزة" تخلف عن هذا الموعد تخوفا من غدر

[1]_Ibid, p301.

[2]_ عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلام، الجزائر،1997، ص 145.

الفرنسيين به، حيث كان يوم الموعد موجودا في "بني مطهر" بالمغرب الأقصى على بعد حوالي أربعين كلم من مكان الاجتماع، وحتى يبرر للفرنسيين تخلفه يوم 03 أفريل أرسل رسولا وهو"سي الجيلالي" ليبلغ السلطات الفرنسية هناك بأنه سيبعث إليها جوابه حول اقتراحاتها يومي 06 و 07 أفريل على أبعد تقدير[1].

ـ معركة ماقورة 17 أفريل 1871م:

اعتبر الفرنسيون تخلف "سي قدور" عن الموعد استهتار بالسلطات حيث أخذوا يعدون أنفسهم عسكريا فنقلوا بعض قواتهم إلى "سيدي الجيلالي"، وطلب من الضابط "فراند" أن يقود قوات عسكرية من سعيدة إلى "مسيف" ليدعم قوات الآغا سليمان ولد قدور كما كلفوا الضابط "lecolonedes méloizes" بالانتقال بقواته من سعيدة إلى "ماقورة"[2]، حيث اصطدم بزعيم الثورة "سي قدور ولد حمزة" يوم 17أفريل 1871م في معركة طاحنة انتهت بمقتل حوالي 200 من أتباع "سي قدور" وعدد آخر للفرنسيين من بينهم: الضابط "ميرسيي" "Mercier " والضابط فرانسوا""Francois ".

وبعد المعركة انسحب "سي قدور ولد حمزة" مع قواته إلى "بني مطهر" داخل الحدود المغربية لكن سلطان المغرب ضغط عليه فانتقل إلى عين الشعير ثم إلى "بني غيل" جنوبا، كما أطلق سلطان المغرب الأقصى صراح ابني "الشيخ بن الطيب" زعيم فرع الغرابة من السجن قبل معركة ماقورة، لكنه أعاد اعتقالهما بعد أحداث هذه المعركة، كما أرغم زعيم الثوار على مغادرة المنطقة التي التجأ إليها داخل المغرب لدى "بني مطهر"، وقد كشفت معركة "ماقورة "عن ضعف موقف الثوار حيث أن "سي الزبير" شقيق "سي الأعلى" عمل على تحقيق اتصالات بينه وبين السلطات الفرنسية في "بني يزقن" بوادي "ميزاب" [3] من أجل

[1] _ إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص 251.

[2] _ مكان يقع قرب سبدو بولاية تلمسان .أنظر: مجموعة من المؤلفين، **المقاومات الشعبية** ...، المرجع السابق، ص36.

[3] _ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 200ـ201.

تسهيل عملية استسلامه للفرنسيين، كما دخل أيضا "سليمان بن قدور" آغا حميان وأبناء "الشيخ بن الطيب" في مفاوضات مع "بني غيل" لتحقيق نوع من الصلح وإيقاف المعارك والهجومات المتبادلة بينهم، كما حصل خلاف بين "سي قدور" و"سي معمر" انتهى بمقتل أخوين للشيخ "معمر" هما: "الحاج العربي وسليمان بن الشيخ"، بعدها انفصل "سي معمر"عن "سي قدور" وانتقل إلى "بني غيل "، حيث أمر السلطان المغربي عماله بمنع "سي قدور ولد حمزة" ورفاقه من القيام بأي نشاط ضد الفرنسيين وأعوانهم.

وفي شهر أكتوبر نقل "سي قدور ولد حمزة" مركزه إلى حميان على أمل أن يستميل إليه أهلها لكن دون جدوى، ثم انتقل بعدها إلى الشط الغربي ثم إلى "بئر المرحوم" جنوب غرب سعيدة بحوالي 45كلم، وفي طريقه هاجم المعارضين له من بني مطهر، في دائرة الضاية ومن قبيلة حميان التابعين للآغا "سليمان بن قدور"، ثم من هناك اخترق الشط الشرقي إلى الخيثر يوم 13نوفمبر؛ وأصبح يهدد سكان الهضاب العليا ومناطق التل الوهراني، اضطر بعدها الفرنسيون إلى نقل قواتهم من سعيدة والضاية وسبدو إلى واد المويلح قرب رأس الماء والعريشة في النواحي الغربية[1].

ـ معركة المنقب 1871م و نتائجها:

قام "سي قدور" ولد حمزة في أوائل الشهر ديسمبر 1871م بعمل عسكري في "الكروة "جنوب غرب الأبيض سيدي الشيخ، ومعه حوالي ثلاثة آلاف وستمائة فارس وخيال، لكن في23 ديسمبر تعرضت له قافلة عسكرية فرنسية في ضواحي "المنقب" على بعد حوالي أربعين كلم جنوب البنود، وكان بصحبته عمه "سي الأعلى" وابن عمه "سي معمر" ولد الشيخ الطيب، فحصلت بينهم وبين القوات الفرنسية معركة حادة، لكن نتائجها كانت ثقيلة على الثوار حيث قتل منهم حوالي 150 شخصا، وجرح "سي قدور" و"سي الأعلى" لكنهما نجيا من الموت، كما أسر الفرنسيون زوجة "سي قدور" ولد حمزة وابنه الصغير المدعو

[1] _ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص204.

"محمد" واستسلم عدد آخر من الثوار للقوات الفرنسية التي كان يقودها "سليمان بن قدور" آغا حميان و"قدور ولد عدة" آغا الصحراويين[1].

بعد المعركة اتجه "سي قدور" إلى المنيعة وتيميمون كما فر البعض إلى داخل حدود المغرب الأقصى، كما قامت فرنسا بتوزيع المقبوض عليهم على دائرة معسكر وفرندة ثم إلى عمالة وهران، ورغم الجهود التي كان يبذلها "سليمان بن قدور" للفرنسيين بعد أن عينه آغا على البيض وحميان إلا أن السلطات الفرنسية لم تكن راضية عليه وقرروا عزله من منصبه، لكن الحاكم العام قرر إبقائه في منصبه لكن بدون سلطة فعلية وبدون وظيفة ماعدا اللقب، بحيث نقل مع أتباعه إلى سهل" ملاتة "قرب سبخة وهران وأصبح في شبه إقامة جبرية[2].

وفي مطلع عام 1872م كانت القوات الفرنسية تعسكر في المناطق التالية: قوات الجلفة في قصر الحيران، وقوات سعيدة والضاية طلب منها أن تتحرك إلى الشمال، وقوات الاغواط انتقلت إلى بريزينة، ومن هناك أخذت طريقها إلى المنيعة لقطع طريق توات على الثوار، وفي هذه الفترة سعى "سي الأعلى" إلى خلق صلة مع الفرنسيين وتنظيم عملية استسلامه، وكان هدفه هو التقرب من السكان الخاضعين للفرنسيين والقيام بنشاط في أوساطهم، وفي أواخر عام 1872م دخلت السلطات الفرنسية في مفاوضات مع زعماء أولاد سيدي الشيخ، حيث قاد "سي الدين" شقيق "سي قدور" ولد حمزة وفدا واتجه إلى وهران ثم إلى الجزائر العاصمة؛ فوصل إليها يوم04 فيفري 1873م استقبله الحاكم العام وقدم له الشروط الفرنسية، وأعطى له مهلة ثلاثة أشهر للرد عليها فغادر العاصمة واتجه إلى متليلي لإبلاغ زعماء العائلة بالنتيجة.

كما كلف فرع الغرابة "سي مراد" شقيق "سي سليمان بن قدور" بأن يتجه إلى مدينة معسكر ويتفاوض مع السلطات هناك بصفة مباشرة لتنظيم عملية استسلامهم، لكن هذه

[1]_Cheikh Si Hamza Boubakeur,op.cit, P195.

[2]_Ibid, P196.

المفاوضات لم تنجح لأن "سليمان بن قدور" آغا حميان غادر مقر إقامته والتحق بالحدود المغربية وعاد إلى نشاطه الثوري ضد الفرنسيين، وفي يوم 21 ماي أرسل "سي الدين ولد حمزة" رسالة إلى الحاكم العام يعلمه فيها بأن "أولاد سيدي الشيخ" لم يتفقوا بعد على شروط الاستسلام وطلب منه إذنا جديدا للعودة إليه بالجواب في الوقت المناسب فأعطي له، ففي 11مارس 1874م فاجأ "سليمان بن قدور" سكان "واد الشريعة" جنوب البيض وسلب منهم بعض قطعانهم، ثم عاد إلى داخل المغرب الأقصى، في 13 جوان اصطدم هو وابن عمه "سي معمر" بالقوات الفرنسية في حدود الشط الشرقي وانتهت المواجهة بمقتل "سي معمر" ولد الشيخ بن الطيب زعيم فرع الغرابة[1]، وقتل 37 فارسا وجرح "سي سليمان" وسلبت القوات الفرنسية منه المؤونة وكل ما كان بحوزته.

في آواخر سنة 1874م؛ سعى "شريف وزان الحاج عبد السلام " رئيس "الطريقة الطيبية"[2] وصاحب التأثير الواسع على سكان منطقة الحدود وخدام "أولاد سيدي الشيخ"، حيث ربط الصلة بين السلطات الفرنسية وزعماء "أولاد سيدي الشيخ "، لكن لم تنجح هذه المساعي إلا في إيقاف "سليمان بن قدور" الآغا السابق على حميان، ووضعه تحت الإقامة الجبرية في "مكناس" أولا ثم "فاس" تحت رعاية "الحاج عبد السلام"[3].

وفي عام 1875م؛ تعاون ثوار "أولاد سيدي الشيخ" مع بعض قبائل "زناتة" و"أولاد مولة"، وشنوا عمليات هجومية ضد السكان الخاضعين للسلطات الفرنسية منهم الشعانبة في "واد زرقون"، وقتلوا البعض منهم وسلبوا مؤونتهم وكل شيء، كما واصل "شريف وزان الحاج عبد السلام" جهوده خلال ما بقي من عام 1875م لدى زعماء "أولاد سيدي الشيخ" و"سليمان بن قدور" بصورة خاصة، ووافق هذا الأخير بعد تردد على الذهاب إلى السلطان لمقابلته

[1] _ يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص ص 204-205.

[2] _ أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف (ت 1089هـ) من أشراف المغرب بمدينة وزان، تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية ثم أشرف عليها مولاي الطيب المتوفى سنة 1768م مركزها في الجزائر بمدينة وهران. أنظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 98.

[3] _ إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 253.

ووعده بألا يعود لأي نشاط ضد الفرنسيين وضد سيادة المغرب، وذهب إلى الرباط عام 1876م فقابل السلطان وجدد وعوده له بالكف عن أي نشاط، فعين السلطان له مكناس ليقيم بها ثم رخص له بالإقامة في فاس[1].

وفي عام 1878م؛ حصل خلاف بين "سي قدور ولد حمزة" وابن أخيه "الباشاآغا سي حمزة ولد بوبكر" الذي أصبح الوارث الشرعي للسلطة الدينية في فرع "أولاد سيدي الشيخ "الشراقة"، فقد كان "سي حمزة ولد بوبكر" يعيش لدى عمه "سي قدور" الزعيم العسكري للثورة وهو صغير السن فقد ولد عام 1859م، وعندما بلغ سن الرشد عين رئيسا دينيا لفرع الشراقة بينما احتفظ أعمامه بالقيادة العسكرية، وهذا سبب الخلاف بينه وبين عمه "سي قدور"، حيث انفصل عنه وذهب إلى البيض وسلم نفسه للسلطات الفرنسية في يوم 15فيفري 1878م، وطلب الأمان فوجهته إلى مدينة معسكر[2].

وخلال سنة 1879م؛ توقف النشاط الثوري لأن "سي قدور" زعيم الثورة لم يبق له من يساعده على القيام بأي نشاط عسكري، وعمه "سي الزبير" توفي في "قورارة" في نفس العام وباقي الزعماء تفرقوا في أماكن مختلفة بسبب أحداث الحروب الطويلة التي دامت حوالي 16 عاما، وفي مطلع عام 1880م انتشرت إشاعات بين سكان الغرب الوهراني بأن "سي قدور ولد حمزة" الذي يعسكر في "كرزاز" يعد لشن هجوم على منطقة الحدود انطلاقا من "واد الساورة"، فتحركت القوات الفرنسية نحو المنطقة وتحركت من ورائها قوات أخرى من جنود المخزن في فرندة وسعيدة لتدعيمها[3].

مما سبق ذكره نستنتج مايلي :

[1]_ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص206.

[2]_Cheikh Si Hamza Boubakeur,op.cit, pp 197_198.

[3]_Ibid, p198.

برهنت ثورة أولاد سيدي الشيخ، كغيرها من الثورات الشعبية المسلحة، على الرفض القاطع والنهائي للوجود الفرنسي في الجزائر، وكانت من أبرز العراقيل التي واجهت التوسع الاستعماري في الجنوب؛ ورغم ما شابها من صراعات وخلافات داخلية بين قادتها، خاصة من أبناء سي حمزة، بفعل سياسة "فرّق تسد" التي انتهجتها فرنسا لإضعاف وحدتها، فإنها خلفت أثراً بالغاً في زرع روح الجهاد ومقاومة الاستسلام.

وتزامنت هذه الثورة مع مقاومات أخرى مثل ثورتي بوشوشة وبن ناصر بن شهرة في الصحراء، وثورتي المقراني والحداد في الشرق، لكن غياب التنسيق الجغرافي حال دون توحيد الجهود ضد العدو المشترك، ومع ذلك فقد ألحقت الثورة خسائر بشرية في صفوف القيادة الفرنسية، وامتدت إلى مناطق الجنوب الشرقي، ورغم أنها لم تحقق الهدف المنشود وهو الاستقلال، إلا أنها مهدت الطريق لثورة التحرير الكبرى، التي استفادت من دروس وإخفاقات الثورات السابقة للوصول إلى النصر.

الفصل الثاني:

مساهمة قبيلة شعانبة متليلي في ثورة أولاد سيد الشيخ.

المبحث الأول: دور قبيلة الشعانبة في دعم وإسناد الثورة.

المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة متليلي الشعانبة في الثورة.

المبحث الثالث: إنعكاسات حملة دوسونيس على ثورة أولاد سيدي الشيخ.

تعتبر منطقة متليلي الشعانبة من بين المناطق الصحراوية الجزائرية التي لعبت دورًا مهمًا في مقاومة الاستعمار الفرنسي، بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي وارتباطها العميق بالتقاليد القتالية والروح الثورية لسكانها؛ وقد برزت مساهمتها بشكل خاص في ثورة سيدي الشيخ (ابتداءً من عام 1864)، وهي واحدة من أبرز الحركات الشعبية المسلحة التي واجهت الاحتلال الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري.

جاءت مشاركة متليلي الشعانبة في هذه الثورة امتدادًا لروح التضامن القبلي والديني التي وحّدت القبائل الصحراوية ضد التوسع الاستعماري، كما تجلت من خلال الدعم البشري واللوجستي والقيادي الذي قدمه أبناء المنطقة للثورة، إلى جانب ما اتسموا به من شجاعة وصمود في وجه القوة الفرنسية المدججة بالسلاح.

وقد ساهمت هذه المشاركة في ترسيخ مكانة متليلي كشريك فاعل في مسيرة الكفاح الوطني، وكساحة من ساحات المقاومة التي لا تزال تُحفظ في الذاكرة الجماعية للمنطقة والجزائر عمومًا.

المبحث الأول : دور قبيلة الشعانبة في دعم وإسناد الثورة.

في الفصل التمهيدي تكلمناعن العلاقة التي كانت تربط شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ، حيث كان الشعانبة يُظهرون لهم التقدير والاحترام، تقديسًا لمكانة أجدادهم، سيدي الشيخ وسيدي الحاج بحوص، وكما أشرنا سابقًا، فإن الشرارة التي فجّرت الثورة كانت قضية أحمد بن أحمد، قايد أولاد علوش، والتي شكلت دافعًا قويًا لسي سليمان لقطع علاقته بالاستعمار الفرنسي، ويتجه بكل عزم نحو طريق الجهاد والمقاومة.

بعد عودة النقيب "بيران" إلى البيض، كان يترقب وصول السي سليمان برفقة المتهم أحمد بن أحمد لسجنه هناك، إلا أن انتظاره قد طال؛ إذ أن السي سليمان كان قد حسم أمره

وقرر الدخول في ثورة ضد الاستعمار، وبدأ بالفعل في التنسيق السري مع مختلف القبائل، مستعينًا بالخوجة سي الفضيل الذي حمّله رسالة تعلن النفير العام وتدعو إلى الجهاد[1].

قبل إعلان الثورة رسميًا، عاد السي سليمان إلى زاويته في سيدي الحاج الدين، حيث أصدر أوامر سرية لأفراد عائلته وأتباع أولاد سيدي الشيخ بالتوجه نحو متليلي والمنيعة، بداية من يوم الثلاثاء 16 فيفري 1864م، متظاهرًا بأن الأمر لا يعدو كونه تنقلاً عادياً لرعي المواشي، كما جرت العادة، وفي فجر الخميس 18 فيفري، غادر السي سليمان رفقة أخيه سي محمد بن حمزة وعمه سي الزبير، مصحوبين بعدد من الخيام، ليدخلوا مدينة متليلي، معلنين بذلك انطلاق مرحلة جديدة من الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي[2].

ويبدو أن اختيار أولاد سيدي الشيخ لمدينة متليلي كنقطة انطلاق لثورتهم ضد الاستعمار الفرنسي لم يكن اعتباطيًا، بل ارتكز على عاملين أساسيين: أولهما العلاقة الروحية المتينة التي جمعتهم بقبائل الشعانبة، وثانيهما ضعف الوجود الفرنسي في متليلي، حيث كان حضور الاستعمار هناك محدودًا وشكليًا، وما يعزز هذا الاختيار أن الشعانبة كانوا يرفضون التواجد الفرنسي، ولديهم استعداد فعلي للمقاومة، لكن تحركهم كان مرتبطًا بموقف أولاد سيدي الشيخ، كما أُشير إليه سابقًا.

لقد لبّى نداء السي سليمان للثورة عددٌ من القبائل التي التحقت بالثورة بكل حماس، حيث وصلت تعزيزات من قبائل أولاد سيدي الشيخ، إلى جانب مقاتلين من الأغواط الإكسل[3]

---

[1] _ إبراهيم مياسي ، **الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_1934**, دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر, 2011، ص 222 .

[2] _ الشيخ لكحل، **مقاومة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851_1908م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017، ص 110 .

[3] _ الأغواط الإكسل: قبائل طردت من بني هلال إلى ناحية البيض ، هم أربعة عروش: أولاد مومن،الرزايقة، أولاد عمران، أولاد عيسى.أما إكسل فهو الجبل الذي انجذب إليه أبناء الأغواط.أنظر: إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، المرجع السابق، ص 134.

من الحرار وتجمعت هذه القبائل تحت قيادة سي سليمان في الحسي[1] قرب متليلي؛ أين احتشد شعانبة برزقة وراسلوا آغا ورقلة ليأتي إليهم[2].

أمَّا سي الأعلى فقد خيم يومي 17-18 فيفري 1864م بواد النومرات شمال متليلي، وشرع في جمع المقاتلين والمجاهدين من القبائل والأعراش المتحالفة مع أولاد سيدي الشيخ، فاجتمع في هذا المكان أزيد من ألف فارس حتى نهاية فيفري 1864[3]؛ وقد دخل سي سليمان بن حمزة متليلي يوم 23 فيفري، حيث اتخذها قاعدة للانطلاق العمليات العسكرية، والتحق به الثائر الناصر بن شهرة[4]، كما التحق به أيضا من أبناء عمومته زعيم الغرابة الشيخ بن الطيب[5].

بعد حشد القوات، أعلن سي سليمان استقالته من منصبه وإعلان الثورة، وذلك في رسالة بتاريخ 16 مارس 1864م وجّهها إلى حاكم البيض والوالي العام بالجزائر،أوضح فيها أن استقالته من منصب الباشاآغا على الصحراء جاءت رفضًا للسياسات الاستعمارية، ومما جاء فيها: "لقد اجتمعت مع كل سكان الجنوب الخنافسة المخادمة المواضي شعانبة ورقلة،

---

[1] _ الحسي: منطقة تقع جنوب غرب مدينة متليلي الشعانبة على بعد حوالي 60 كلم، ضمن صحراء متليلي.والحسي جمع حاسي أي البئر، وقد سميت بهذا الإسم لأن بها مجموعة من الآبار المتجاورة، تعتبر منطقة الحسي ممرا ضروريا لكل القوافل والرعاة الذين يجوبون صحراء متليلي، فيقفون عند آبارها لإراحة رواحلهم ولتوريد قطعان ماشيتهم.**أنظر الملحق رقم 08.**

[2] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 111.

[3] _C.Trumelet: **Histoire de l'insurrection dans le sud la province d'Alger en 1864**,Adolphe jourdan Imprimeur _ Libraire,Alger,1879,P5.

[4] _ هو بن ناصر بن شهرة بن فرحات يتنسب إلى قبيلة المعامرة من الأرباع، ولد عام 1804 بقرية المخرق جنوب الأغواط، كان بطلا شجاعا دام كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي حوالي ربع قرن من 1851-1875 م، اشترك في كل الثورات الشعبية التي اندلعت في هذه الحقبة، خرج إلى تونس سنة 1875، واستقر مع الأمير عبد القادر بالشام إلى أن توفي سنة 1883 .أنظر :إبراهيم مياسي، المرجع السابق، 136.

[5] _ المرجع السابق، ص224. و أنظر أيضا:

C.Trumelet: Op.cit, P 6.

وشعانبة برزقة وآخرين من الذين أعتمد عليهم...كلمتي الأخيرة إليكم، إذا أردتم الخير نحن جاهزون، وإذا أردتم السوء نحن أيضا جاهزون.[1]

كانت قوات الثوار موزعة على قسمين: الأول في الحسي جنوب متليلي، والثاني في وادي النومرات شمال متليلي بقيادة سي لعلا، الذي نجح في ضم أغلب قبائل ورقلة، باستثناء أولاد إسماعيل من الشعانبة في نقوسة، وسعيد عتبة الذين رفضوا الانضمام، وقد أكدت برقية مؤرخة في 24 مارس 1864م، صادرة من محافظة الجزائر إلى الجنرال ديلينييه،أن سي سليمان وسي لعلا وأنصارهما متواجدون في متليلي، وأن بعض فرق الشعانبة متمركزة جنوب المدينة[2](أنظر الملحق رقم 08)؛ وتؤكد الروايات الشعبية المتواترة ما ورد في الوثائق الأرشيفية أن سي سليمان استعان بشعانبة متليلي عند إعلانه الثورة ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1864م[3].

واستعدادًا للتحرك، أمر سي سليمان بتوحيد القوتين، فالتقوا يوم 26 مارس 1864م في أم دمران، على بُعد نحو 60 كيلومترًا جنوب متليلي، حيث خيّموا هناك، وفي اليوم التالي 27 مارس التحق بالمعسكر سي جلول بن حمزة برفقة الطرافي ومجموعة صغيرة من الطوارق[4](أنظر الملحق رقم 08)، وفي أوائل شهر أفريل 1864م، تحرك جيش سي سليمان من معسكره في أم دمران باتجاه البيض، مرورًا بوادي زرقون[5]، ويذكر النقيب بيران أنه

---

[1] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 112.

[2] _ المرجع السابق، ص 112.**وأنظر أيضا إلى الملحق رقم 09.**

[3] _الحاج بحوص ناصري، **هجرة أولاد سيدي الشيخ**، مخ،CCDS ـ Ghardaïa , 00 1000 198 0 :Cote، وق6.

[4] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 112.

[5] _ وادي زرقون هو أحد الأودية الواقعة في منطقة متليلي الشعانبة بولاية غرداية في الجزائر، يعد هذا الوادي من المعالم الجغرافية المهمة،حيث يشكل الحد الغربي لمنطقة وادي ميزاب،المعروفة ببلاد الشبكة، والتي تتميز بتضاريسها الصخرية وشبكة الأودية المتفرعة. **موقع القبائل الجزائرية، قبائل الشعانبةـ أسود صحراء الجزائر.**

http://tribusalgeriennes.wordpress.com,

عندما وصل مع قوميته إلى مخيم العقيد بوبريتر (Beauprêtre)[1] يوم 8 أفريل 1864م على الساعة الرابعة والنصف صباحا، في عوينة بوبكر بالغاسول، والتي تبعد بخمسين كيلومترا شرق البيض تفاجأ بجيش سي سليمان يحاصر المخيم[2]؛ بينما أشار ناصري إلى أن النقيب بيران، الذي قدم لاستطلاع مخيم بوبريتر، فوجئ بالمعركة مشتعلة، فتمكن من الفرار على فرسه، رغم مطاردة سي المعراج له حتى منطقة الثنية، في المقابل نجح الثوار في القضاء على جنود فرقته الاستطلاعية[3].

اندلعت المعركة بين الثوار والقوات الفرنسية التي تكبدت خسائر كبيرة، حيث ذبح الثوار معظم جنود المخيم بالسيوف والسكاكين، ولم ينجُ منهم سوى ثلاثة؛ ودخل سي سليمان خيمة بوبريتر وطعنه بخنجر، لكنه لم يمت، فأطلق عليه طلقة من مسدسه[4]، لكن قتل سي سليمان في النهاية على يد أحد جنود بوبريتر، وتشير بعض الوثائق إلى أنه دخل خيمة بوبريتر برفقة أحمد بن أحمد قايد أولاد علوش ومحمد بن محمد قايد أولاد عبد القادر من شعانبة متليلي[5]، بينما تذكر وثائق أخرى أن سي لعلا قد صرح خلال استقباله للأبوين شارموتان (Charmetant) وفالكون (Falcon) في المنيعة شهر ديسمبر سنة 1872م، بأن من قتل بوبريتر هم شعانبة متليلي وليس ابن أخيه سي سليمان الذي ألصقت فيه التهمة[6].

---

[1]_ بوبريتر: ولد في 20 فيفري 1819 في مارست وسط فرنسا،التحق بفرقة الزوافا سنة 1839، ثم أصبح عريفا ثم ملازما سنة 1852 عمل كثيرا في منطقة القبائل وشارك في اخماد ثورة الشريف بومعزة، رقي بعدها إلى عقيد وقد قتل في مخيمه في عوينة بوبكر سنة 1864 ،أطلق اسمه على قرية "بوفيمة" بتيزي وزو سنة 1889.أنظر:الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 113.

[2]_ المرجع السابق، ص 113.

[3]_الحاج بحوص ناصري، المصدر السابق، وق 6.

[4]_Narcisse Faucon: **Le Livre d'Or de l'Algérie**, Challamel et Cie Éditeurs, Paris 1889,p56.

[5]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 113.

[6]_المرجع السابق، ص113.

ومهما كانت صحة هذه الرواية أو دوافع سي الأعلى من تصريحه للأبوين، اللذين طلب منهما التوسط لدى الحاكم العام للجزائر لوقف تمرده ومنحه الأمان، فإنها تثبت بلا شك أن أعيان شعانبة متليلي كانوا برفقة سي سليمان ومن أبرز مقربيه؛ فهم من حرضوه على الانقلاب على الفرنسيين وساندوا ثورته، وهو ما أكدت عليه بعض تقارير حاكم غرداية إلى الحاكم العام، حيث أقر بأن الهجوم على فرقة بوبريتر شاركت فيه شعانبة برزقة[1] بشكل فعال.

وبعد استشهاد القائد سليمان بن حمزة، تولى أخوه محمد قيادة ثورة أولاد سيدي الشيخ، مستعيناً بعميه الزبير والأعلى نظراً لصغر سنه، حيث حظي هؤلاء بتأييد واسع من شعانبة متليلي والقبائل الأخرى المشاركة في الثورة، وخاض الثوار معارك عنيفة ضد القوات الفرنسية، أبرزها معركة ابن حطاب يوم 26 أفريل 1864م ضد فيلق الجنرال مارتينو (Martineau)، والتي كبدت الجيش الفرنسي خسائر فادحة؛ وأسفرت هذه الانتصارات على اتساع رقعة الثورة بانضمام قبائل جديدة من الشمال والجنوب، ويذكر أمات أن مدينة غرداية قد تعرضت لهجمات خلال انتفاضة 1864م؛ فخلال ليلتي 16 و 17 سبتمبر 1864م كانت بيوت المعارضين لثورة أولاد سيدي الشيخ عرضة للنهب والسلب من طرف أشخاص من مليكة والعطف مساندين للشعانبة الثائرين[2].

وفي يوم 4 فيفري 1865م جرت معركة قارة سيدي الشيخ ضد الجنرال ديليني(Deligny) والتي جرح أثناءها سي محمد، وتولى أخوه سي أحمد من بعده زمام القيادة؛ والذي واصل المقاومة وهاجم قوات العقيد مارجوريت (Marguerite)[3]، وقد توسعت

[1]_هم أهم وأقوى فرع من فروع الشعانبة، يطلق عليهم شعانبة برّزقة أو البرازقة مفردها برزيق، وتعني مجموعة من الرجال الفرسان. إسماعيل العربي:**الصحراء الكبرى وشواطئها**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983م، ص163.

[2]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص114.

[3] _C. Trumelet: Op.cit, p 332.

الثورة لتشمل المناطق الجنوبية للعمالات الثلاث على طول خط حولي 800 كلم من الشرق إلى الغرب وعمق من 270 حتى 360 كلم جنوبا، وهذا حسب ما ورد في تقرير الحاكم العام للجزائر الجنرال مكماهون[1]، كما أن قوم الحجيرة بقيادة العقيد سيروكا (Seroka) القائد العسكري لدائرة باتنة قد قاموا يوم 10 فيفري 1865 بمهاجمة سي الأعلى وبن ناصر بن شهرة ومن معهما من الشعانبة والمخادمة عند حاسي بوروبة، جنوب ورقلة بحوالي 50 كلم وكبدوهم خسائر فادحة[2]، وهذا ما أكدته مراسلة من الحاكم العام للجزائر مكماهون (Mack–Mahon) إلى باريس؛ حيث أكد ورود تقرير من العقيد سيروكا يؤكد فيه تجهيز سي العلى للتحرك من جديد بعد وفاة سي محمد، وقد ذكر في هذه المراسلة المؤرخة بيوم 18 مارس 1865م، أن لعلا مرفوقاً بالناصر بن شهرة قد تحركا صوب متليلي لمنع الحرازلية من الاستسلام، حسب المراسلة؛ وأنهما حينما خيما جنوب متليلي التحق بهما سي الزبير والثائر بوديسة الهارب من سجن الأغواط، قادمين من متليلي(أنظر إلى الملحق رقم 11)،[3] كما أشار أمات إلى أن سي لعلا تمكن سنة 1865م من التقدم بواسطة أعداد من الشعانبة والتوارق حتى جبل عمور[4]، وهكذا نرى أن منطقة متليلي الشعانبة قد شهدت انطلاق الثورة وأن شعانبة برزقة قد كانوا في خضمها طيلة سنتي 1864 و 1865[5].

---

[1]_الجنرال مكماهون: هو باتريس دو مكماهون،الحاكم العام للجزائر الذي عين في سنة 1864، وقد استقال من منصبه في سنة 1870؛أصبح لاحقا رئيسا لفرنسا.أنظر إلى:

موقع ويكيبيديا(wikipedia): **https://www.wikipedia.org.**

[2]_C. Trumelet:Op.cit, p199.

[3]_الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص115.أنظر إلى الملحق رقم11.

[4] _ جبل العمور:هي سلسلة جبلية في الجزائر تقع في وسط البلاد و تشكل جزءً من الأطلس الصحراوي؛ طولها 100كلم، وعرضها 60 كلم، تقع بين جبال أولاد نايل شرقاً وجبال قصور غرباً ارتفاعها 2008م...أنظر:موقع ويكبيديا **https://www.wikipedia.org.**

[5]_ينبغي هنا الإشارة إلى ما أورده يحي بوعزيز في مقال له حول هذه الثورة أن :" سي لعلى وأخوه سي الزبير قد قاما آواخر ديسمبر سنة 1865 بالإغارة على شعانبة متليلي والمخادمة وضواحي غرداية ...وانتشرت إشاعات بأنهما سيغزوان ورقلة..." وذكر أن مصدر هذه المعلومة هو تريملي، لكن لما عدنا إلى تريملي لم نجد أثرا لهذه المعلومة .أنظر: يحي

وبسبب شح المعلومة في المصادر المحلية، فإننا لم نعثر على أرقام توثق حجم مشاركة شعانبة متليلي في هذه الثورة؛ من حيث أعداد الملتحقين والشهداء وحتى كم المساهمات العينية والمادية، لكن يبدو أنها كانت بأعداد لا بأس بها، بسبب الولاء المطلق الذي كان يحضى به زعماء أولاد سيدي الشيخ لدى شعانبة متليلي.

المبحث الثاني : رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة متليلي الشعانبة في الثورة.

بعد تصاعد الأحداث العنيفة التي رافقت الثورة، لجأت السلطات الاستعمارية إلى سياسة الانتقام من القبائل التي دعمت الثوار، فشنت حملات عسكرية تأديبية ضدها، وفرضت عليها ضرائب باهظة ومجحفة، في محاولة لكسر إرادتها وردعها عن أي دعم مستقبلي للمقاومة؛ وفي هذا الإطار ومع مطلع سنة 1865م، فرضت السلطات الاستعمارية ماعُرف بـ"ضرائب الحرب" على القبائل التي شاركت في الثورة أو ساندت الثوار، وذلك بهدف تعويض الخسائر التي تكبّدها الاحتلال في المعارك ضد المتمردين؛ وتشير الوثائق التي اطّلعنا عليها إلى أن هذه الإجراءات طالت كل القبائل والجماعات التي قدمت الدعم للمقاومة، سواء في مناطق التل أو الصحراء، باستثناء قبيلتي الشعانبة والحرازلية (أنظر الملحق رقم09)، اللتين ظلّتا خارج السيطرة الفرنسية، واستمرتا في حالة تمرّد مفتوح[1]، ولأن السيطرة على منطقة متليلي الشعانبة لم تكن ممكنة بالوسائل التقليدية، رأت السلطات الاستعمارية ضرورة استخدام القوة العسكرية المباشرة، فكانت البداية بحملة عسكرية بقيادة العقيد دوسونيس(أنظر للملحق رقم 11) (De Sonis)، التي شكّلت أولى محاولات إخضاع المنطقة بالقوة.

1.التعريف بالعقيد دوسونيس.

بوعزيز :"**أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864_1881**" ،مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر،ع 51، ماي_جوان 1979، ص 32 .

[1] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 117. وأنظر للملحق رقم 10.

ينحدر لويس قاستون دوسونيس (Louis-Gaston de Sonis) من عائلة عسكرية، إذ كان والده يشغل رتبة ملازم في فرقة المشاة الثالثة عشرة؛ وُلد دوسونيس في 25 أوت 1825م بمدينة لابوانت أبيتر، كبرى مدن إقليم جوادلوب (Guadeloupe) الفرنسي،الواقع في جزر الأنتيل بالمحيط الأطلسي،انتقل لاحقًا إلى فرنسا،حيث التحق بالمدارس العسكرية وتدرج في مراتبها إلى أن تخرّج برتبة ملازم ضمن الفوج الخامس في فرقة الفرسان الخفيفة بمدينة كاسترس (Castres) ، وقد كان معروفًا بين زملائه بشدة تدينه، وحرصه على الالتزام بتعاليم الكنيسة، ما أضفى على شخصيته مزيجًا من الانضباط العسكري والورع الديني[1]؛ وبتشجيع من رفاقه انضم إلى الماسونية[2]، التي كان ينظر إليها ككنيسة مسيحية حرة، ولكن ليس أقل تديناً، ولا أقل إفادة من الكنائس الأخرى؛ وكانت الكنيسة المسيحية تحارب الجمعيات السرية غير المعروفة لها في ذلك الوقت؛ ويذكر بونارد (Baunard) أن دوسونيس لم يضع قدمه في أي محفل ماسوني، إلا عندما طلب منه عقيده، ذات يوم من سنة 1848م، أن يحل محل أحد أفراد الفرقة، والذي كان مدعوا إلى عشاء ماسوني، فسأله دوسونيس:

"– لكن ، لماذا لم تتم دعوتي أنا أيضا؟"

_هل ستكون ماسونيا؟

_نعم ، أيها العقيد ، ما الضرر الذي يلحقني بهذا ؟

[1] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 118.

[2] _الماسونية: تطرح نفسها على أنها مؤسسة إحسانية وجمعية فكرية تسعى إلى استقطاب ذوي النفوس الحرة والأخلاق الحسنة، وقد ساهمت الماسونية بشعاراتها الإنسانية الفضفاضة في إضعاف المشاعر الدينية والقومية والوطنية لدى شعوب العالم.ولم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذا من الماسونية، فلها محافل في كل أنحاء العالم تقريبا، حيث تستقطب هذه المحافل الشخصيات المؤثرة في كل بلد لضمان سيطرتها عليه.وهي تسيطر على بعض الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب، وبعض وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم. وبيدها الكثير من موارد الإقتصاد ووسائل الإنتاج في العالم .وقد عدها البعض منظمة يهودية.أنظر:عبدالوهاب الكيلاني وآخرون: "**الموسوعة السياسة**"، ط 2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الأردن، ج5،1990، ص ص 657_661.

– اذهب وانظر ! قال العقيد مندهشا للغاية.

– حسنا ، سأذهب وأرى" أجاب دوسونيس[1] .

وقد اكتشف دوسونيس حقيقة هذه المنظمة لما ذهب لذلك العشاء؛ حين بدأ المجتمعون بمهاجمة الكاثوليكية وأسرارها وكهنتها وهو ما لم يتحمله دوسونيس، فوقف فجأة على الطاولة، وصرخ في المنضمين: "آه!" توقفوا هنا أيها السادة، لقد ورطتموني، واكتشفت أنكم نصبتم لي فخاً... لقد قيل لي أن الدين سيحترم دائما، وأنتم هنا تهينونه! أنتم لم تحافظوا على وعودكم، وأنا بريء منكم، لن تروني مرة أخرى: مساء الخير! "وخرج مذعورًا وغاضبًا[2].

ومنذ خروجه من هذا المحفل الماسوني غدى دوسونيس أكثر تعصباً للكاثوليكية، وحسب ما جاء في بعض المصادر، فإنه كان يحمل الصليب في كل معاركه[3]؛ وبعد عشرين عامًا، أي في عام 1871م، كان المحفل الماسوني لا يزال يتباهى بأنه تمكن من ضم دوسونيس إليه، وكان دوسونيس دائما يحذر أبناءه من الاقتراب من هذه المنظمات السرية[4].

تزوج سنة 1849م من الآنسة جيني أنطوانيت (Jenny Antoinette)، ذات السبعة عشر ربيعاً، والتي أنجبت له اثني عشر طفلاً، وفي ماي 1854م تمت ترقيته إلى رتبة نقيب، وذهب إلى الجزائر وشارك في الحملات العسكرية على بلاد القبائل خلال سنة

[1]_ Mgr Baunard: **Le général de Sonis d'apres ses papiers et sa correspondance**, Librairie Charles Poussielgue, Paris 1891, p27.

[2]_ Albert Bessiéres: **Sonis 1825-1887**, Beauchesne Éditeurs, Paris 1946, p35.

[3]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص119.

[4]_ Mgr Baunard: Op.cit, p28.

1857، وبعد اخضاع هذه المنطقة باستسلام بني راتن في سوق الأربعاء، أجرى قداساً من الشكر؛[1] بعد ذلك تم تعيينه في الحملة الإيطالية سنة 1859[2].

في عام 1860 تم تعيينه قائداً أعلى لتنس، ثم الأغواط وأخيراً سعيدة؛ أين رقي إلى رتبة مقدم (Lieutenant-Colonel) في جوان1856[3]؛ وفي مطلع عام 1866 حقق نصرا كبيرا في معركة متليلي، كما شارك سنة 1869 في معركة عين ماضي، ثم عاد إلى فرنسا أثناء الحرب البروسية، خلال سنتي 1870-1871، وبعد نهاية الحرب طلب إعفاءه من مهامه العسكرية بداعي الاصابة التي تعرض لها في رجله أثناء الحرب، إلا أن استقالته رفضت، وقد أمضى السنوات الأربعة الأخيرة من حياته في باريس في وسط ديني إلى أن توفي يوم 15 أوت 1887[4].

2.حملة العقيد دوسونيس العسكرية على متليلي "معركة متليلي".

كانت منطقة متليلي الشعانبة تُعدّ في نظر العسكريين الفرنسيين، بؤرة التمرد وأيقونة ثورة أولاد سيدي الشيخ، ولهذا السبب بدأ التفكير جديًا في توجيه ضربة مباشرة إلى قلب الثورة، ومعاقبة القبيلة التي احتضنت سي سليمان، ووقفت وراء تحريض القبائل الأخرى على الالتحاق بركب المقاومة، ويذكر تقرير الحكومة العامة للجزائر أن العقيد أرنودو (Arnaudeau)،القائد العسكري لدائرة باتنة، تلقى يوم 31 نوفمبر 1865م وهو متواجد في الحجيرة، أنباءً مثيرة للقلق تُفيد بأن شعانبة متليلي وقبيلة المذابيح بصدد التحضير لثورة

---

[1] _ الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص119.

[2] _الحملة الإيطالية عام 1859، والمعروفة أيضا بحرب الاستقلال الإيطالية الثانية،كانت حملة عسكرية مهمة في مسيرة توحيد إيطاليا؛ خلال هذه الحملة، استطاعت القوات البييمونتية الفرنسية تحقيق انتصارات حاسمة ضد النمسا، مما أدى إلى تحرير بعض المناطق الإيطالية من الاحتلال النمساوي، **موقع ويكيبيديا**

Https://en.Wikipedia .org /Wiki / Italian Second _War _of _ Independence.

[3] _Albert Bessiéres: Op.cit, pp 113_116.

[4] _ Mgr Baunard: Op.cit, pp 262-263.

جديدة، وقد تأكدت هذه المعلومات من خلال استيلاء المتمردين على قافلتين تجاريتين، إحداهما تعود إلى سعيد عتبة، والثانية إلى أولاد زيد القادمين من بسكرة، في تصعيد واضح يعكس عودة نار المقاومة للاشتعال من جديد في قلب الصحراء، فتجهز مستعينا بقوم سعيد عتبة، للتوجه نحو متليلي يوم 4 جانفي 1866؛(أنظر في الخريطة لمسار حملة دوسونيس في الملحق رقم 13) وفي الطريق جاءته مراسلات من ميزاب تفيد بأن طابور دوسونيس تحرك لنفس الوجهة منطلقاً من الأغواط، كما أن البريد الوارد من علي باي أخبره بأن سي الأعلى يعد العدة للهجوم على ورقلة؛ لذلك فقد قرر إرسال قوم سعيد عتبة لمعاقبة شعانبة متليلي وانسحب هو راجعا إلى ورقلة التي وصلها يوم 8 جانفي 1866[1].

والجدير بالذكر أن العقيد دوسونيس كان من بين المشاركين في حملة النجدة التي تحرّكت باتجاه مخيم بوبريتر، وذلك بعد الهجوم المباغت الذي نفّذه الثوار صباح يوم 8 أفريل 1864؛ غير أن وصوله جاء متأخرًا؛ إذ كان كل شيء قد انتهى، والثوار انسحبوا بعيدًا عن المكان؛ لم يُفكّر دوسونيس في ملاحقتهم، بل انشغل رفقة جنوده بدفن القتلى الذين سقطوا في المعركة، وعندما وقف على بقايا جثة الضابط بوبريتر،التي نهشتها الذئاب، بدا عليه حزنٌ عميق، وعيناه احمرّتا من شدة الغضب و الحنق؛ ثم تمتم بكلمات مؤثرة وهو يواري الجثمان بنفسه: "ليرعى الرب روحك يا صديقي... سوف لن ننساك"[2].

ويبدو أن هذا المشهد قد أثر في نفسية دوسونيس، وجعله يتطلع إلى الانتقام مما فعله الثوار بصديقه بوبريتير، لذلك لما استلم في جوان سنة 1865 الأوامر بتعيينه قائداً عاما للطابور العسكري المتنقل في الصحراء؛ والذي كانت قاعدته في الأغواط، رجع مسرعاً من فرنسا رغم أنه بالكاد وصل إليها لقضاء بضعة أشهر مع عائلته[3].

[1] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص120.

[2] _المرجع السابق، ص120.

[3] _ Albert Bessiéres:Op.cit, p116.

لقد صدرت الأوامر لدوسونيس بالتحرك بطابور الأغواط نحو جبال عمور بغرض قطع طريق الشرق على الثوار، لكن سرعان ما غير وجهته نحو متليلي؛ ويبدو أن تلك الحركة كانت بهدف تضليل عيون الثوار التي كانت ترقب تحركات الطوابير الفرنسية، ومفاجأة سى لعلا ومن معه من قادة الثورة الذين كانوا متمركزين حينها في متليلي، فبعد استراحة قصيرة في الأغواط، انطلقت الحملة من جديد يوم 27 ديسمبر 1865 متجهة نحو متليلي التي تبعد عن الأغواط بحوالي 200 كلم؛ لم تتوقف الحملة في أية منطقة واختارت تخوم العرق الغربي متجنبة التضاريس الوعرة لبلاد الشبكة، فانسحبت عبر أعالي وادي مصك[1] محاولة دخول متليلي من أسفلها؛ أي جهة سبسب في حركة التفافية كان الغرض منها مفاجأة الثوار المستقرين في متليلي الذين كانوا يتوقعون هجوم الحملة من الجهة الشمالية.

كانت حملة دوسونيس نحو متليلي تضم الكتيبة 12 من المشاة، وكتيبة من الزواف، والسرية الرابعة من الخيالة، وقطعتين مدفعية، إلى جانب بعض الصبايحية، العمال والممرضين، بإجمالي نحو 1379 بندقية و245 سيفًا؛ كما انضمت إليهم قومية سعيد عتبة المؤلفة من 600 فارس قدموا من ورقلة، وتولى 1700 جمل نقل المؤونة وقِرَبْ الماء لتأمين الدعم اللوجستي[2]، التقى طابور الأغواط بقيادة العقيد دوسونيس مع قومية سعيد عتبة قرب متليلي يوم 9 جانفي 1866، وقبل بزوغ فجر اليوم التالي، أرسل دوسونيس فرقة استطلاعية من قومية سعيد عتبة بقيادة النقيب لورو (Le Roux) رئيس المكتب العربي بالأغواط، لكنهم فوجئوا بإطلاق نار من الشعانبة المتحصنين في صخور شعبة سيدي

[1] _ وادي مصك(Mask):هو من أودية الشبكة يقع جنوب غرب متليلي بحوالي 20 كلم، يوازي وادي متليلي ويصب في نفس الاتجاه، يسمى وادي سبسب أيضا.أنظر إلى: بن محسن طه ضياء الحق، **التركيب النباتي لمراعي االودية وما جاورها في الصحراء الشمالية** ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي تخصص مراعي وتربية الحيوانات في المناطق الجافة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2021/2020، ص12.

[2] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص121.

الشيخ، مما أعاق تقدمهم[1]؛ وعرض النقيب لورو على الثوار الأمان مقابل استسلامهم وتسليم مواشيهم، لكنهم ردوا عليه بوابل من الرصاص ما اضطره للانسحاب، وأسفر الاشتباك عن خسائر فادحة في صفوف القومية، أجبرتهم على التراجع وترك أكثر من اثني عشر قتيلاً وراءهم[2].

فطلب النقيب لورو الدعم من دوسونيس بواسطة أحد القومية الذي كان جريحًا، وعند وصوله إلى المخيم على الساعة الثامنة صباحا، روى لدوسونيس مجريات المعركة التي وقعت في شعبة سيدي الشيخ؛ وعوض أن يندفع بجنود الحملة نحو متليلي لإنجاد الفرقة الاستطلاعية، فضل دوسونيس عدم المغامرة، ولجأ إلى واحة سبسب متربصاً مرور الثوار الذين كانوا يلاحقون فلول الفرقة الاستطلاعية[3]، ولم يمر وقت طويل حتى حاول الثوار دخول واحة سبسب فاشتبكوا مع قوات دوسونيس، فلم يكن أمام الشعانبة سوى الرجوع إلى متليلي على وقع مطاردة الفيالق الفرنسية[4].

استمرت مطاردة الثوار لعدة ساعات، إلى أن توغلت القوات الفرنسية في وادي متليلي، حيث كانت نيران المقاومين تترصدهم من كل جهة، ولم تتمكن الحملة من بلوغ قصر متليلي بسهولة، نظراً لتحصن الشعانبة في أعالي الهضاب الصخرية الوعرة المشرفة على الوادي، والتي شكلت موقعاً دفاعياً استراتيجياً حال دون تقدم القوات الغازية بسلاسة؛ خاصة على هضبة "كاف القصر"[5](أنظر للملحق رقم 13) المحاذية لقصر متليلي، فعندها وقعت المعركة الكبيرة والأخيرة حيث تمركز ثوار الشعانبة على ربوتها وبدأوا يقنصون ميسرة الحملة

---

[1]_ Mgr Baunard: Op.cit, p207.

[2]_ Albert Bessiéres:Op.cit,p117.

[3]_ Mgr Baunard: Op.cit, p209.

[4]_ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 122.

[5]_ كاف القصر :هضبة صخرية تتوسط مدينة متليلي الشعانبة، يحاذيها وادي متليلي و القصر القديم من الجهة الشمالية، ومن الجهة الغربية وسط المدينة والبطحاء ، ومن الجهة الشرقية نجد " دخلة المرابطين"، أما من الجهة الجنوبية فالحي الإداري وشعبة سيدي الشيخ تسمى حاليا "كاف مولاي عبد القادر".أنظر: المرجع السابق، ص 123.

بكل سهولة[1]، لقد كانت تلك الهضاب الصخرية من أهم العوائق أمام تقدم الحملة، وبما أن عدد فرسان الحملة كان أكثر من عدد الجنود المشاة، فقد اضطر دوسونيس إلى إعطاء أوامره إلى الفرسان بالنزول عن خيولهم وابقائها أسفل هضبة "كاف القصر" وتسلق الصخور مثل جنود المشاة، وتحت قصف قطعتي المدفعية؛ اضطر الثوار إلى الانسحاب التدريجي من أعالي الهضبة مع حلول الظلام، وهكدا تمكن جنود الحملة من الوصول إلى قمتها والسيطرة عليها بعد جهد وتكبد الكثير من الخسائر[2].

وعقب انسحاب الثوار ونهاية المعركة، أمر القائد دوسونيس الوحدات التابعة لطابوره بالتجمع مجددًا، ثم دخل قصر متليلي في حدود الساعة السابعة والنصف مساءً، معلنًا بذلك سيطرة القوات الفرنسية على المنطقة بعد المواجهات[3]؛ وبعد أن سيطرت القوات الفرنسية على قصر متليلي، طلب القائد الفرنسي دوسونيس لقاء سكان متليلي، فتجمعوا في المسجد العتيق، غير أن هذا الضابط المتعصب دخل المسجد رفقة جنوده، مدنساً حرمته بأقدامه في مشهد استعراضي يحمل دلالات الإذلال والاستهزاء بمشاعر الثوار ومقدساتهم؛ وألقى خطاباً تهديدياً حذر فيه من أي محاولة جديدة للثورة أو لإيواء الثوار من قبل شعانبة متليلي، وفرض عليهم غرامة باهظة قدرتها المصادر الفرنسية بمائة ألف فرنك، وهو مبلغ كبير جداً في تلك الحقبة[4].

كما قام القائد الفرنسي دوسونيس بإقالة قياد العروش الثلاثة الذين أبدوا تأييدهم للثورة، واستبدلهم بقياد موالين للسلطة الاستعمارية؛ فقد عيّن محمد الرسيوي قائداً على عرش أولاد علوش خلفاً للقايد أحمد بن أحمد الشلقي، وولّى محمد بن فرح الله قيادة عرش أولاد عبد

[1]_ Mgr Baunard: Op.cit, p210.

[2]_Albert Bessiéres:Op.cit, p117.

[3]_ Mgr Baunard:Op.cit, p211.

[4]_ Albert Bessiéres:Op.cit, p117.

القادر بدلاً من محمد بن محمد، كما نصّب معمر بن إيعيش قائداً على عرش القصر، في خطوة هدفت إلى إحكام السيطرة على المنطقة وتفكيك البنية القيادية الداعمة للثورة.[1].

أمَّا بخصوص الخسائر الناجمة عن هذه المعركة، فقد كانت جسيمة لكلا الطرفين، ونظراً لغياب المصادر المحلية، فقد تم الاعتماد على الكتابات الفرنسية، التي تعمدت التعتيم على حجم خسائر قوات دوسونيس، مكتفية بالإشارة إلى مقتل اثني عشر فارساً من قومية سعيد عتبة في الكمين الذي نُصب لهم في شعبة سيدي الشيخ، بالإضافة إلى مقتل أربعة جنود فقط في معركة "كاف القصر[2]،" ما يعكس محاولة واضحة للتقليل من حجم الخسائر الفرنسية الحقيقية؛ والحقيقة أن هذه المصادر نفسها أقرت بشدة المقاومة التي واجهتها القوات الفرنسية، حيث اعترفت بأن نيران الثوار كانت كثيفة، وأن الطريق الممتد من وادي مصك وواحة سبسب نحو قصر متليلي لم يكن سهلاً أو آمناً، بل كان مليئًا بالاشتباكات عند كل هضبة وشعبة وصخرة، كما شكل الثوار المتمركزون في أعالي الهضاب الصخرية عائقاً حقيقياً أمام تقدم الفيالق الفرنسية، وكل هذه المعطيات تشير بوضوح إلى أنَّ خسائر القوات الفرنسية كانت كبيرة، رغم تعمد المصادر إغفالها؛ ويُفسَّر هذا التعتيم بكون أغلب الروايات التي تناولت معركة متليلي اعتمدت على مراسلات القائد الفرنسي دوسونيس، الذي سعى من خلالها إلى رسم صورة نصر حاسم، وإظهار حملته كوسيلة فعالة لمعاقبة شعانبة متليلي، وردعهم عن أي محاولة مستقبلية للثورة أو التمرد على السلطة الاستعمارية.

أمَّا في صفوف الثوار الشعانبة، كانت الخسائر فادحة؛ إذ ذكرت المصادر الفرنسية سقوط 45 مقاتلاً خلال اقتحام متليلي في 10 جانفي 1866[3]؛ إلاَّ أنَّها صمتت عن ذكر أعمال القتل والتنكيل الذي تعرضت لها متليلي بعد انسحاب المقاومين منها، ذلك أن طابور

[1]_ Mgr Baunard:Op.cit, p211.

[2]_ Albert Bessiéres:Op.cit, p117.

[3]_Mgr Baunard:Op.cit, p211.

دوسونيس مكث في المدينة مدة تسعة أيام؛ من يوم 11 جانفي إلى 19 جانفي 1866م، وخلالها أباح دوسونيس لجنوده المدينة، وذلك انتقاما ونكاية في شعانبة متليلي الذين احتضنوا ثورة أولاد سيدي الشيخ، ومن منطقتهم انطلقت طلائع الثوار لتتكل بمخيم صديقه بوبريتر .

ويتضح من بعض المصادر الفرنسية أن جنود دوسونيس لم يكونوا ودودين مع سكان متليلي، حيث رافق دخولهم المدينة أعمال سلب ونهب، فقد نفذوا حملة تفتيش شاملة في منازل السكان، غنموا خلالها أموالًا وأمتعة كثيرة، من بينها عشرة آلاف دورو إسباني، أي ما يعادل نحو 52 ألف فرنك، نُهبت من منزل أحد زعماء الثورة، كما استولوا على 12350 شاة، و 393 جملا وأكثر من 100 جحش[1].

واعتبر دوسونيس معركة متليلي أكبر انجازاته وانتصاراته في مسيرته العسكرية، فقد كتب إلى أحد أصدقائه قائلا: " لقد تمكنت قبل أيام من احراز نصر باهر في متليلي، لم أفقد سوى خمسة رجال ..."[2]؛ كما قال في موضع آخر:" لقد تمكنت في هذه اللحظة من إخضاع ثوار الشرق، لم تتمكن أي قوات فرنسية من اقتحام متليلي قبلنا"[3].

وفي الواقع أن قوات دوسونيس لم تكن هي القوات الفرنسية الأولى التي دخلت المدينة، بل كانت هناك حملة أولى على متليلي قبل حوالي اثني عشر سنة، لكنها لم تواجه قتالاً، ولم تقم بأعمال انتقامية ضد أهالي المدينة، ولعل هذا ما كان يقصده دوسونيس؛ أي أن حملته دخلت بالقوة إلى متليلي، ونكلت بساكنيها وانتقمت منهم شر انتقام، وربما كان يقصد بأنَّها المرة الأولى التي تدخل القوات الفرنسية عاصمة الثورة وقلبها النابض، بعد أن كانت الحملات العسكرية مركزة على مناطق الثورة في الشرق وفي الغرب، وهذا يدل على الأهمية

[1]_ Mgr Baunard,Op.cit,p211.

[2]_Ibid, p213.

[3]_ Albert Bessiéres:Op.cit, p117.

الكبرى التي كانت تمثلها منطقة متليلي الشعانبة بالنسبة للثوار الذين ظلوا محتمين بها؛ ذلك أن زعماء الثورة مثل سي لعلا سي الزبير والناصر بن شهرة، لا يكادون يخرجون من المنطقة حتى يعودون إليها لالتقاط الأنفاس وإعادة تنظيم الصفوف؛ ورغم تباهي قوات الاحتلال بالانتصار في معركة متليلي، إلاَّ أن دوسونيس لم يغامر بجنوده في معركة أخرى حين بلغته يوم 15 جانفي 1866 وهو لا يزال في متليلي؛ أنباء وجود الناصر بن شهرة على رأس قوة من الثوار متكونة من 100 فارس و350 جنديا، في حاسي بركاوي جنوب متليلي، وادعى في مراسلاته بأن القيادة العسكرية أمرته بعدم تجاوز متليلي، وبعد خروجه من متليلي يوم 19 جانفي 1866، وصل إلى الأغواط يوم 28 جانفي 1866.[1]

إنَّ الأعمال الوحشية التي رافقت دخول القوات الفرنسية إلى المدينة، قد دفعت الكثير ممن بقي في المدينة إلى الهروب جنوبًا، والالتحاق بالمقاومين المنسحبين نحو وادي تغير[2]، وهو ما أكدته بعض المصادر؛ حينما أكدت أن سي الأعلى قد انسحب مع أغلب شعانبة متليلي جنوبا.

وهذه هي "خَلْية" متليلي الثانية؛ والتي تعتبر أكبر خلية، وبسبب الأعمال الشنيعة التي قام بها جنود هذه الحملة أصبح شعانبة متليلي لا يثقون بعد ذلك في وعود قادة الطوابير الفرنسية التي تقترب من متليلي، فكانوا يهجرون نحو الصحراء قبل دخول القوات الفرنسية إلى المدينة؛ ويذكر بليدي من جهة أخرى أن الشعانبة قاموا بمغادرة متليلي بعد مطالبة الحكومة الفرنسية منهم بدفع الضرائب المترتبة عن تسع سنوات؛ فهجروا إلى واد تغير، وأن

[1] _ الشيخ لكحل المرجع السابق، ص 126.

[2] _ وادي ثغير: من أهم أودية المنطقة، يبعد عن مدينة متليلي بحوالي تسعين كيلومتر جنوبا، عرضه أكثر من 500 متر، غني بالمياه؛ إذ به حسب المثل السائد لدى الشعانبة مائة وواحد بئر، أشهر آباره، حاسي زعنون وحاسي الشارف، لذلك يعتبر مأوى خصب للرعاة، خاصة شعانبة متليلي الذي اتخذوه ملجئا لهم في حال الخطر.أنظر: المرجع السابق، ص 126.

عدون بن باسعيد قد كلفه القائد العام لعمالة المدية لإقناعهم بالرجوع إلى متليلي[1]، وهذا ما أكده القطب اطفيش في رسالته إلى الحاكم العام بالجزائر سنة 1894 بقوله:"...وكم من مال صالحوا به من يخرج عنكم؛ كالشعانبة حين ردوهم إليكم من واد تغير"[2].

كما انتشر صدى العقاب الذي أنزله دوسونيس بشعانبة متليلي، مما أدى إلى فتور حماس الثائرين من شعانبة ورقلة والمخادمة، الذين كانوا يستعدون لاقتحام ورقلة، كما أشار شارل فيرو[3].

لكن التساؤل المطروح هنا: ما الذي دفع الشعانبة إلى مغادرة متليلي عند اقتراب الطوابير الفرنسية؟ هل يُعدّ ذلك شكلًا من أشكال المقاومة بأسلوب مختلف، أم يُفسَّر على أنه خوف وتراجع في لحظة المواجهة؟ وهل يعقل أن يتركوا ديارهم وبساتينهم خلفهم عرضة للنهب والتخريب، ويلجئون إلى الصحاري القاحلة؟

بالنسبة للشق الأول من التساؤل؛ فمن المعروف أن طبيعة تضاريس المنطقة لا تمنح المقاومين المسلحين ببضع بنادق وسيوف، القدرة على الصمود طويلًا في وجه الطوابير الفرنسية الزاحفة، التي كانت تفوقهم عددًا وعتادًا بشكل كبير، وعليه فإن خروجهم من متليلي يدخل في إطار الانسحاب التكتيكي في الحروب، وليس جبناً ولا تولياً يوم الزحف[4]، ذلك أن هذا الانسحاب نحو صحراء متليلي لم يكن تراجعًا عبثيًا، بل خطوة استراتيجية تهدف إلى إنهاك القوات الفرنسية وتشتيت صفوفها في حال قررت المطاردة، وجعلها فريسة سهلة في

---

[1] _ المرجع السابق، ص 126.

[2] _ امحمد بن يوسف اطفيش: **رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر**، تح: فتيحة يطو،جامعة النيلين، السودان،2006، ص 133.

[3] _ الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 127.

[4] _ التولي يوم الزحف: كبيرة من الكبائر لدى المسلمين، ومعناه الهروب من أمام العدو وعدم مواجهته،مصداقا لقوله تعالى:" يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتمُ الّذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومنْ يولهمْ يومئذ دبره إلاّ متحرفاً للقتال أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من اللهِ و مأواهُ جهنّمُ و بئسَ المصيرُ"(15-16، سورة الأنفال)، لكن هذه الآية استثنت من قام بحركة التفافية، أو كان تعداد جيش العدو كبيرا مقابل عدد المسلمين.

أرض يعرفها الثوار الشعانبة شبرًا شبرًا، فالبقاء في قصر متليلي المكشوف، الذي يفتقر إلى التحصينات من أسوار وأبراج مراقبة، والمَعزول عن أي قصر أو مدينة قد توفر الدعم عند الحاجة، كان سيجعل من المواجهة مع الجيش الفرنسي مغامرة انتحارية، تمكِّن الاحتلال من سحق المقاومة وقطع جذورها نهائيًا، أما الانسحاب إلى عمق الصحراء فكان كفيلًا بالحفاظ على قوة الثوار وتمديد عمر المقاومة، مما أتاح لاحقًا لانبعاث موجات جديدة من الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي طوال القرن التاسع عشر.

أمَّا بخصوص الشق الثاني من التساؤل؛ فكما أشرنا سابقًا، فإن الطابع البدوي كان السمة الغالبة على شعانبة متليلي، ما يجعل رأس مالهم الحقيقي وثروتهم الأساسية متمثلة في رؤوس الجمال والمواشي التي يتنقلون بها عبر الصحراء طلبًا للماء والكلأ، ورغم أن النخلة كانت تحظى بقيمة كبيرة، إلا أنها لا تقارن بقيمة الجمال والمواشي.

لقد حاولت القوات الغازية لمتليلي في كل مرة الضغط على الشعانية لإرجاعهم إلى متليلي، وذلك من خلال عمليات القطع والحرق التي طالت نخيل متليلي، وقد تكرر هذا الأمر عدة مرات كما هو محفوظ في الذاكرة الشعبية، إذ عزم قادة إحدى الحملات على قطع كل نخيل متليلي الممتدة من قصر متليلي نحو "حاضور"[1]، وبالفعل جاء الجنود السنيغاليون بفؤوسهم ومناحلهم وعملوا في نخيل متليلي قطعاً وحرقا، واستمرت عمليات القطع أياما قاموا خلالها بقطع النخيل لمساحة كبيرة ممتدة من القصر حتى "آحباس العرش"[2]، عند ذلك تدخل القياد والأعيان والضمان لوقف هذه العملية التخريبية، فاتصلوا بقادة الحملة طالبين منهم وقف أعمال القطع مقابل ضمان إرجاع الشعانية إلى متليلي، ولا

[1]_ حاضور: هو من الأحياء الغابية القديمة والعريقة في متليلي يقع بين " آحباش العرش" و "المصارف" يمتاز بكثافة نخيله وغنى بساتينه ، يطلق عليه أيضا "الغابة" أو "الحديقة".**أنظر موقع ومساحة حاضور في الملحق رقم 12.**

[2]_ آحباش العرش: هو من السدود التقليدية الكبيرة التي أنشأها الشعانبة في وادي متليلي لري بساتينهم و سقي نخيلهم، يقع على بعد حوالي كيلومتر واحد غرب قصر متليلي في اتجاه "الغابة"، و يفصل حاليا بين حيي "السبخة" و "الرزيقي".

زالت آثار هذا التخريب واضحة حتى اليوم؛ إذا أن هذه المنطقة أضحت جرداء من النخيل، ولا تبدأ بساتين النخيل إلا من "آحباس العرش"، بعد أن كانت تبدأ من القصر[1].

ولا تذكر الروايات الشعبية السنة بالتحديد التي وقعت فيها هذه المأساة، إلا أننا نرجّح وقوعها خلال حملة دوسونيس لعدة اعتبارات، أولها المدة الطويلة التي قضاها في متليلي بعد انتهاء المعركة، والتي انشغل خلالها جنوده بأعمال السلب والتخريب؛ كما أن انسحاب الثوار وغالبية سكان المدينة لم يكن محل ارتياح لدى دوسونيس، الذي كان يسعى لإخضاع شعانبة متليلي بشكل نهائي والقضاء على مقاومتهم، يضاف إلى ذلك أن من كتبوا عن متليلي قبل سنة 1866، وصفوا نخيلها بأنه كان ممتدًا من القصر إلى "حاضور" لمسافة تُقدّر بكيلومترين، مثل الضابط تريملي الذي دخل المدينة سنة 1854، ودوفربيه الذي زارها سنة 1859، ويبقى هذا الترجيح والاستنتاج اجتهادًا منا في ظل غياب الوثائق والمصادر المحلية المؤكدة.

المبحث الثالث: إنعكاسات حملة دوسونيس على ثورة أولاد سيدي الشيخ.

رغم الخسائر الكبيرة التي تكبّدها الثوار في معركة متليلي،إلا أن ثورة أولاد سيدي الشيخ بقيت مستمرة، وظلت المواجهات العسكرية المتفرقة سِمة بارزة في المشهد العام لتلك المرحلة، وفي خضمّ هذه المواجهات، بدأت مؤشرات التفاوض تظهر تدريجيًا،من خلال اتصالات سرية أجراها بعض زعماء الثورة مع سلطات الاحتلال، ما يشير إلى تحوّل تدريجي في مسار الأحداث، بين الاستمرار في المقاومة ومحاولة الوصول إلى تسوية.

1.المواجهات العسكرية.

[1] _ هذه المنطقة تسمى حاليا " السبخة" ومعناها الأرض الجرداء التي لا نبات فيها،أنظر للملحق رقم12.

إنَّ نتائج الحملة العسكرية التي قادها العقيد دوسونيس لم تنجح في إخضاع شعانبة متليلي أو ثنيهم عن مواصلة المقاومة؛ إذ أشار تريملي إلى أن سي الأعلى، وبعد أن ضاق ذرعاً بمنفاه الطوعي في رمال حاسي بوزيد[1]، قرر سي الأعلى في نهاية فيفري 1866 استئناف نشاطه الثوري، فتوجه إلى متليلي طالباً الدعم من الشعانبة، ورغم آثار حملة العقيد دوسونيس القمعية ضدهم، لم يترددوا في الاستجابة لدعوته ومناصرته، مما يؤكد استمرار روح المقاومة ورفض الخضوع للهيمنة الفرنسية[2].

في شهر فيفري 1867م؛ قرر الحاكم العام بالجزائر إلحاق واحة المنيعة وكافة مناطق شعانبة المواضي بأغوية ورقلة، تحت قيادة علي باي التابع لمحافظة قسنطينة، وعلى إثر هذا القرار؛ خرج علي باي على رأس فرقة من القوم نحو ميزاب، حيث قام بنهب حوالي خمسين رأساً من الإبل في ناحية العطف، كانت ملكاً لسعيد عتبة وشعانبة متليلي، ورداً على ذلك قاد هؤلاء سرية لمواجهة المعتدين، فاندلعت معركة أسفرت عن إصابة عدد كبير من الرجال، وقد اعتبر سي الأعلى هذا الاعتداء خرقاً واضحاً للهدنة مع الفرنسيين، فأوقف على إثره كل محادثاته الجارية معهم بشأن استسلامه[3].

ظلَّ شعانبة متليلي أوفياء لزعماء ثورة أولاد سيدي الشيخ، في السلم كما في الحرب، ففي بداية جوان 1867م؛ عبّر سي الأعلى عن رغبته في إحلال السلام مع الفرنسيين، فأرسل مبعوثاً عنه إلى بسكرة يُدعى أحمد بن قويدر الشعانبي، حاملاً رسالة عبّر فيها عن نواياه السلمية وطلب توضيح المصير الذي ينتظره إن استسلم؛ وردّ الفرنسيون بأنهم

[1]_ حاسي بوزيد: محطة توقف للقوافل التجارية، تقع في رمال العرق الغربي على الطريق بين الأبيض سيدي الشيخ والمنيعة.أنظر: الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص 130.

[2]_C. Trumelet:Op.cit, p 288.

[3]_ الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص 130.

سيضمنون له الحرية والسلامة، بشرط أن يحضر شخصياً إلى بسكرة، غير أنَّه امتنع عن الذهاب، ما يدل على استمرار حالة التوجس وعدم الثقة بين الطرفين[1].

وفي 23 ديسمبر 1871م؛ شنّ سي سليمان بن قدور وسي معمر هجوماً مباغتاً على رأس قومية وهران، مستهدفين سي قدور وسي الأعلى في منطقة المنقوب، وكادا أن يُلقيَا القبض عليهما، إلا أن الأخيرين تمكنا من الانسحاب نحو توات؛ وبذلك توقفت مقاومة أولاد سيدي الشيخ مؤقتاً إثر هذا التطور المفاجئ، وجاء في تقرير الحكومة العامَّة للجزائر أن أولاد سيدي الشيخ لم يقوموا بأي نشاط معادٍ للأهداف الفرنسية في الصحراء خلال الفترة الممتدة من القبض على بوشوشة[2] سنة 1874 إلى غاية سنة 1879.

تسببت الانتفاضة الطويلة لأولاد سيدي الشيخ في توقيف الاكتشافات الصحراوية لعدَّة سنوات ولم تستأنف إلا في سنة 1872[3]، كما أن المذبحة التي تعرضت لها مهمة فلاتيرز (Flatters) الثانية سنة 1881م عملت مجددا على تباطئ الدراسات الصحراوية[4]، ورغم تفرق أولاد سيدي الشيخ وانحسار مقاومتهم، إلاَّ أن شعانبة متليلي ظلوا أوفياء لهم، ومقصداً وقبلة لهم كلما فكروا في التحرك من جديد، مثل ما فعله سي قدور بن حمزة وسي الزبير وغيرهما؛ فقد جاء في برقية الجنرال دو لوفيردو (De Loverdo) القائد العسكري لعمالة

---

[1]_المرجع السابق، ص131.

[2] _كلمة بوشوشة هي الكنية التي عرف واشتهر بها هذا البطل وهي تعني الأشعر أي غزير الشعر أوفره، واسمه الحقيقي محمد بن تومي بن إبراهيم من مواليد الغيشة بجبال العمور في تاريخ لا نعرفه،لأن الرواية الفرنسية تعطينا تفاصيل 12 سنة من عمره فقط، أي فترة المقاومة(1862 ـ 1874) وتتعمد إغفال ذكر معظم حياته، فنحن نجهل أصوله وشبابه والمؤثرات و المواهب التي صقلت شخصية هذا البطل.أنظر :محمد بن معمر، "**الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية**"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات،المجلد1،العدد1، جامعة وهران،2002، ص107.

[3]_Gouvernement General de l'Algérie:**Les Territoires du Sud de l'Algérie** ,éditeur, Imprimeur ـ libraire,1922,p110.

[4]_Ibid, p111.

المدية المؤرخة بتاريخ 26 أفريل 1877م إلى الجنرال قائد محافظة الجزائر: أن سي قدور بن حمزة[1] قد تحرك نحو الشرق، وأن وجهته المحتملة قد تكون متليلي.

وذكر العقيد بيلان في برقية مؤرخة بـ 23 جوان 1879م إلى تلقيه معلومات من دائرة معسكر تفيد بتحرك أولاد سيدي الشيخ نحو الشرق على متن 200 من المهاري، وذلك قبل حوالي اثني عشر يوماً، مرجّحاً أنهم باتوا قريبين من متليلي؛ وقد أوفد مبعوثاً على مهري إلى الأغواط وورقلة، وإلى قايد قياد متليلي، لاستقصاء الوضع عن كثب، وأوصاه بالبقاء في حالة يقظة تامة، وبأن يبلغه فوراً عبر بريد خاص بأي تحرك يُرصد لأفراد أولاد سيدي الشيخ[2]، ويذكر تقرير الحكومة العامَّة للجزائر أن سي لعلا ظهر مع مجموعة من أتباعه في وادي النساء يوم 29 جويلية 1879م، حيث نهبوا 12 جملًا و400 شاة تخصّ سكان القرارة؛ فخرج إليهم قاسي بن بوهون قائد القرارة، واشتبك معهم في واد زقرير، بعد ذلك تحركت المجموعة نحو زلفانة حيث هاجموا قافلة تابعة لسعيد عتبة وقتلوا ثلاثة من رجالها، ثم توجهوا إلى النومرات وهاجموا قافلتين أخريين تابعتين لسعيد عتبة، وفي 30 جويلية اتجهوا إلى ضاية بن ضحوة، ثُمَّ انحرفت المجموعة جنوبًا نحو سبسب مواصلة نشاطاتها العدائية في المنطقة[3].

وأكدت مراسلة العقيد بيلان القائد الأعلى للأغواط، إلى الجنرال دو لوفيردو قائد المدية، بتاريخ 6 أوت 1879م، تحرك هذه المجموعة نحو متليلي، مشيراً إلى أنها خيّمت

---

[1]_ سي قدور بن حمزة: هو ابن الخليفة سي حمزة بن بوبكر، من أم زنجية اسمها مباركة بنت ايعيش، لهذا اعترض بعض عمومته على أن يتولى قيادة الثورة بعد وفاة سي أحمد بن حمزة سنة 1868، بحجة أنه لا يمكن أن يرث "البركة"، ولا يستحق أن يكون زعيمهم الروحي،لأن هذا من حق سي حمزة ولد بوبكر الذي ولد سنة 1859، وهو بذلك لا يتجاوز عمره التاسعة، غبر أن سي قدور استطاع أن يقف في وجههم و أن يفرض نفسه عليهم بمساعدة سي لعلا وسي الزبير.أنظر: إبراهيم مياسي،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 265.

[2]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص132.

[3]_Gouvernement General de l'Algérie: **Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885**, In, R.A, V64, 1923, pp439-440.

يوم 31 جويلية 1879م في حاسي القاع بسبسب جنوب متليلي، وجاء في هذه المراسلة أن قايد متليلي عبد القادر بن محمد خرج إليهم يوم 2 أوت 1879م(أنظر للملحق رقم 14) مع مجموعة من فرسان شعانبة متليلي على المهاري، فلما اقترب منهم غيرت مجموعة أولاد سيدي الشيخ، كما جاء وصفها في ذات المراسلة، مكان التخييم وانسحبت جنوبا، ولما أراد قايد متليلي مطاردتهم رفض الشعانبة المرافقين له ذلك؛ قائلين له بأنَّه لا يمكنهم مطاردة أسيادهم أولاد سيدي الشيخ، كما برروا موقفهم بأن هذه المجموعة لم تقم بالهجوم عليهم[1].

في تلك الأثناء تلقى الشعانبة رسالة من قادة المجموعة تفيد بأن أفرادهم نهبوا عن طريق الخطأ بعض الماشية التابعة لشعانبة متليلي في النومرات، وأبدوا استعدادهم لإرجاع كل ما تمت سرقته؛ وبعد استلام الرسالة توجه بعض أفراد الشعانبة إلى المجموعة لإبلاغهم بالمواشي والبضائع التي فقدوها، لكن أمام هذا الموقف ورفض شعانبة متليلي ملاحقة مجموعة أولاد سيدي الشيخ، لم يجد القايد عبد القادر بن محمد سوى العودة إلى متليلي مع أربعة أو خمسة فرسان فقط[2].

مهما كانت مبررات موقف شعانبة متليلي تجاه قائدهم، والتي كانت مرتبطة بالخلافات الداخلية حول شرعية قيادة القايد عبد القادر بن محمد، والتي حاولت الإدارة الاستعمارية فرضها عليهم، فإنهم رفضوا تلك الاحتجاجات والاعتراضات التي حملتها الوفود المرسلة إلى الأغواط،[3] إلا أن هذا الحادث الأخير يبين بشكل واضح مقدار الترابط الروحي بين الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ، ولم يترك أدنى شك بينهما، كما جاء في تقرير بيلان،

[1]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 133.

[2]_المرجع السابق، ص133.

[3]_ وهو ما أكدته برقية العقيد بيلان حينما صرح بأن: " وضع قايد قياد متليلي الذي قمت بتنصيبه مؤقتا صعب ودقيق، وقد أوصيته بأن ينتقل إلى ميزاب إذا تأكد من سير أولاد سيدي الشيخ نحو متليلي؛ وقد وصل أول أمس وفد الشعانبة المعارض إلى الأغواط وسأعمل على الإحتفاظ به هنا أطول فترة ممكنة "، أنظر:الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص134.

وهذا ما سيؤخذ بعين الاعتبار عند التسوية النهائية لمشكلة متليلي [1] كما ورد في ذات التقرير؛ وكحل للمشكلة القائمة أصدرت الحكومة العامة للجزائر قرار يقضي بتشكيل ملحقة متليلي التي تحولت فيما بعد إلى مركز إداري، وأرجعت الحكومة هذا القرار إلى الفوضى والتمرد المستمر الذي كان شعانبة متليلي يسببونه للسلطات الاستعمارية منذ اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م.

في 19 نوفمبر 1879م؛ قاد الجنرال دولاتور قائد دائرة المدية؛ حملة عسكرية على الواحات جنوب الأغواط، خاصَّة متليلي وورقلة التي شهدت تحركات ثورية حديثة، تشكلت الحملة من 802 زواف، و275 من القناصة الجزائريين، و100 صبايحي، بالإضافة إلى 1000 فارس قومي و1000 جمل، بهدف قمع الثوار واستعادة السيطرة على المنطقة[2].

وقد قيل في جريدة المبشر أن سي قدور ولد حمزة سيضع نفسه على رأس فرسانه، فلم يظهر؛ وبحسب آخر الأخبار فقد فاجأ قافلة من التوارق الهقار بالقرب من إنسالة واستولى على 130 جملا و7 إلى 800 رأس من الأغنام أثناء عودته بغنائمه إلى قورارة، وقد ذكرت الجريدة أن سي قدور بن حمزة قد أصيب بالخطأ بأحد مسدساته، وكانت الإصابة خطيرة حسب البعض، وطفيفة حسب آخرين، وانتشرت شائعات وفاته لكنها لم تكن صحيحة[3].

[1]_المقصود بمشكلة متليلي هو تمرد بعض الأفراد من شعانبة متليلي و رفضهم لتعين القايد عبدالقادر بن محمد، ويبدو أن سلطات الاحتلال قد بدأ تتشدد في ضبط الأمور في متليلي؛ حيث أصدر الحاكم العام أمرا بمنع تجمع جماعة المعارضين كما تم نقل ثلاثة من رؤوس هؤلاء المعارضين، منهم القايد السابق لأولاد علوش أحمد بن أحمد،إلى الأغواط بهدف اعتقالهم، وقد نقلوا بعد ذلك إلى سجن الجلفة.المرجع السابق، ص134.

[2]_C. Trumelet:Op.cit, p482.

[3]_**Le Mobacher, Résumé la situation politique générale des trois provinces,au 22avril**,03mai1879,n10,p2.

في نهاية جانفي 1880م، قرر سي قدور بن حمزة فجأة الهروب إلى جانب البرابير المخيمين بجواره، ثم انطلق معهم ومع أولاد سيدي الشيخ والمداقنات إلى واد قير، حيث مكث هناك عدة أسابيع تحت ضيافتهم، وقام العقيد بيلان سنة 1881م بملاحقة أتباع سي قدور بن حمزة ووصل حتى المنيعة[1].

2.المفاوضات.

ورغم تصاعد الأحداث وتواصل المواجهات، فإن المفاوضات بين الطرفين لم تتوقف، بل كانت تجري في الخفاء من وقت لآخر، وكانت منطقة متليلي تشكّل في بعض الأحيان ساحة لهذه الاتصالات، نظرًا لتواجد عدد من زعماء أولاد سيدي الشيخ فيها، إلى جانب العلاقة القوية التي ربطتهم بشعانبة متليلي، ونستدل على ذلك من خلال مراسلة رئيس المكتب العربي بالأغواط، النقيب دوران، المؤرخة في 29 جوان 1872م، والتي أشار فيها إلى أن سي الأعلى قد طلب الأمان من الحاكم العام للجزائر، وذلك بوساطة ابن سي النعيمي وقايد متليلي سليمان بن مسعود، في خطوة تعبّر عن بداية تحوّل في المواقف وتغيّر في موازين القوة[2]، وكذلك مراسلة قايد متليلي سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز المؤرخة بتاريخ 3 سبتمبر1877م إلى حاكم الأغواط بخصوص طلبه بفتح المفاوضات مع أولاد سيدي الشيخ في متليلي لأجل استسلامهم؛ حيث ذكروا بأنهم اتصلوا بأولاد سيدي الشيخ منهم الزبير بن بوبكر والمعراج بن نعيمي وهم على استعداد أن يقدموا إلى متليلي بشرط ضمان أنفسهم وأملاكهم[3] (أنظر للملحق رقم 14).

[1]_الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص134.

[2]_ المرجع السابق، ص 135.

[3]_قايد القياد سليمان بن مسعود و القايد علي بن حروز: **مراسلة إلى حاكم الأغواط** ، متليلي: 28 شعبان 1294 هـ/ 6 سبتمبر1877 م.أنظر للملحق رقم 15.

ويبدو أن بعض قادة أولاد سيدي الشيخ، مثل سي الزبير؛ لم يكونوا جادين في الاستسلام، بل استغلوا المفاوضات الجارية في متليلي لإعادة التواصل مع شعانبة متليلي، وقد أدركت الإدارة الاستعمارية هذه الخدعة، حيث أشار تقرير عاجل للجنرال دو لوفيردو قائد عمالة المدية، إلى أمر بمنع سي الزبير من الإقامة في متليلي[1]، لأنه حسب هذه البرقية، يقوم بجمع الأموال والهدايا من الشعانبة تحت غطاء رغبته في الاستسلام، كما أنَّه جدد الشروط التي تم الاتفاق عليها بين الحاكم العام للجزائر وسي الدين بن حمزة منذ سنة 1874م[2].

بعد خضوع أولاد سيدي الشيخ الشراقة سنة 1883م، استغل الفرنسيون ذلك لبسط سيطرتهم على بقية المناطق الجنوبية[3]، وكان آخر من استسلم من زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة هو "سي قدور بن حمزة"، حيث التقى بالجنرال توماسين (Thomassin) في بريزينة في شهر أفريل 1884م، ثم قابل الجنرال ديتريه (Detrie) في البيض بتاريخ 31 ماي 1889م، قبل أن يُسْتَقبَلَ لاحقًا من طرف الحاكم العام للجزائر جول كومبون (Jules Cambon) في المنيعة خلال مارس 1892م، لتكون بذلك نهاية مرحلة طويلة من المقاومة[4].

كما أن شعانبة متليلي بدأوا يصرفون اهتمامهم عن أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وغيروا وجهتهم نحو أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين أخذوا مشعل الثورة والجهاد بقيادة الشيخ بوعمامة.

---

[1]_بعد صدور هذا هذا القرار بمنع سي الزبير من الإقامة في متليلي، ذهب إلى تيميمون و بقي هناك إلى أن توفي بسبب الحمى يوم 25 نوفمبر 1878 م.الشيخ لكحل،المرجع السابق، ص135.

[2]_المرجع السابق، ص136.

[3]_H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix:Op.cit, t3, p 49.

[4]_Ibid, t2, p 928.

وخلاصة القول، أنّ ثورة أولاد سيدي الشيخ وجدت جذوتها الأولى في متليلي الشعانبة، حيث كان شعانبة متليلي من أشدّ المحرضين على انطلاقتها، وهم الذين دعموا "سي سليمان بن حمزة" ووقفوا إلى جانبه منذ البدايات؛ ورغم القمع العنيف الذي تعرّضوا له، خاصة خلال حملة دوسونيس سنة 1866م التي خلّفت آثاراً مدمّرة، فإنهم حافظوا على ولائهم لقيادة الثورة، وواصلوا دعمهم لها إلى غاية بداية ثمانينات القرن التاسع عشر، حيث اضطروا في النهاية إلى الاستسلام والخضوع للفرنسيين تحت وطأة الضغط العسكري المتواصل.

مما سبق ذكره نستنتج ما يلي :

إنَّ منطقة متليلي الشعانبة شاركت بفعالية في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1879)، مستفيدة من موقعها الجغرافي المميز وصلاتها القبلية القوية مع قبائل الجنوب الغربي الجزائري، وقد جاء انخراط سكانها في الثورة بدافع ديني واجتماعي، خاصَّة ارتباطهم بالطريقة التيجانية ذات التأثير الروحي الكبير، إضافة إلى رفضهم للسياسات الاستعمارية الفرنسية التي مست العادات والأراضي.

ساهمت متليلي بتوفير المقاتلين والتموين للثوار، وشكلت نقطة وصل مهمة بين مناطق السهوب والصحراء، كما لعب شيوخ الشعانبة دوراً بارزاً في التنسيق مع قادة الثورة؛ كما كان لسكان المنطقة دور استراتيجي في نقل الأخبار والإمدادات وضمان أمن المسالك الصحراوية، مما ساعد على استمرارية الثورة رغم شدّة القمع الفرنسي.

خاتمة

خاتمة :

نستنتج مما سبق ذكره حول موضوعنا المعنون بـ " دور قبائل الجنوب الجزائري في ثورة أولاد سيدي الشيخ (قبيلة شعانبة متليلي أنموذجاً) 1850/1892م"، العديد من النقاط والتي سنستعرضها على شكل استنتاجات:

* برهنت ثورة أولاد سيدي الشيخ كغيرها من الثورات الشعبية المسلحة والتي جاءت كرد فعل على الوجود الفرنسي في الجزائر، برفضها له وبشكل قاطع ونهائي.

* وجود صراعات وخلافات بين أولاد سيد الشيخ الذين قادوا الثورة، الأمر الذي أدى إلى ضعفها وفتورها في عدة فترات، حيث أن تلك الخلافات التي زرعتها فرنسا بين قادة الثورة في إطار سياسة فرق تسد، حتى تتمكن من التسلل داخل صفوفهم لمعرفة خططهم ونقاط ضعفهم وقوتهم.

* تزامنت هذه الثورة مع عدة ثورات مثل الشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة في الصحراء عام 1870م والشيخين المقراني والحداد عام 1871م في الشرق، غير أن العامل الجغرافي لم يسمح لهذه الثورات بالتنسيق مع بعضها البعض، وهذا ما ساهم في عدم قدرتها على تحقيق هدفها.

* ساهمت هذه الثورة في الحد من سياسة التوسع الفرنسي في المنطقة وأحدثت خسائر بشرية في صفوف الجيش الفرنسي.

* تسببت المقاومة الطويلة لأولاد سيدي الشيخ في توقيف الاكتشافات الصحراوية لعدَّة سنوات ولم تستأنف إلاَّ في سنة 1872.

* تقع منطقة متليلي الشعانبة شمال صحراء الجزائر، ضمن ولاية غرداية، وتمتد على مساحة تُقدّر بنحو 300 كيلومتر طولاً و200 كيلومتر عرضًا، ويقطن هذه المنطقة أحد أبرز فروع قبيلة الشعانبة، وهم شعانبة برزقة المعروفون بشعانبة متليلي، الذين تميَّزوا بصفات الشجاعة، والكرم، والدفاع المستميت عن حريتهم واستقلالهم.

خاتمة

* كانت تربط شعانبة متليلي علاقات وثيقة بالجماعات السكانية المجاورة، من بينهم أولاد سيدي الشيخ، الذين كانت تربطهم بهم علاقة روحية وتاريخية مبنية على الود والمحبة وإحترام رجال التصوف والأولياء الصالحين، وشملت هذه الروابط صلات قرابة وولاء، بالإضافة إلى مصالح مشتركة .

* شارك شعانبة متليلي في مقاومة الاستعمار الفرنسي منذ بداياته، حتى قبل أن تصل قواته إلى منطقتهم، وذلك من خلال دعمهم للأمير عبد القادر، ومساندة الثائر سي موسى بوحمار الدرقاوي، وانخراطهم الفاعل في جيش الشريف محمد بن عبد الله.

* خضعت منطقة متليلي للنفوذ الفرنسي الفعلي لأول مرة سنة 1854، نتيجة لعلاقة ولاء سكانها لأولاد سيدي الشيخ، وخاصَّة زعيمهم سي حمزة بن بوبكر.

* انطلقت ثورة أولاد سيدي الشيخ من منطقة متليلي الشعانبة سنة 1864م، وكان شعانبة متليلي هم من حرضوا سي سليمان بن حمزة على القيام بالثورة، وقدموا له الدعم والمؤازرة بعد انطلاقها، وشمل هذا الدعم توفير العنصر البشري وتمويل وتموين قادة الثورة، بالإضافة إلى إيواء الثوار واستضافتهم في متليلي.

* وبالرغم من الحملات الإنتقامية التي قام بها ضباط الحملات الفرنسية ضد شعانبة متليلي كحملة العقيد دوسونيس في 10 جانفي 1866م ، وما سببته من خسائر بشرية ومادية كبيرة في صفوف الشعانبة؛ إلاَّ أنَّهم ظلوا أوفياء لزعماء الثورة خلال كل مراحلها حتى استسلامهم.

* أثبتت قبيلة شعانبة متليلي وجودها ومشاركتها الفعالة في كل الثورات الشعبية التي قامت ضد المستعمر الفرنسي، ممَّا يدل على رفض هذه القبيلة الخضوع للوجود الإستعماري وهيمنته بشكل قاطع ، ويعكس الروح القتالية الكبيرة لأفرادها.

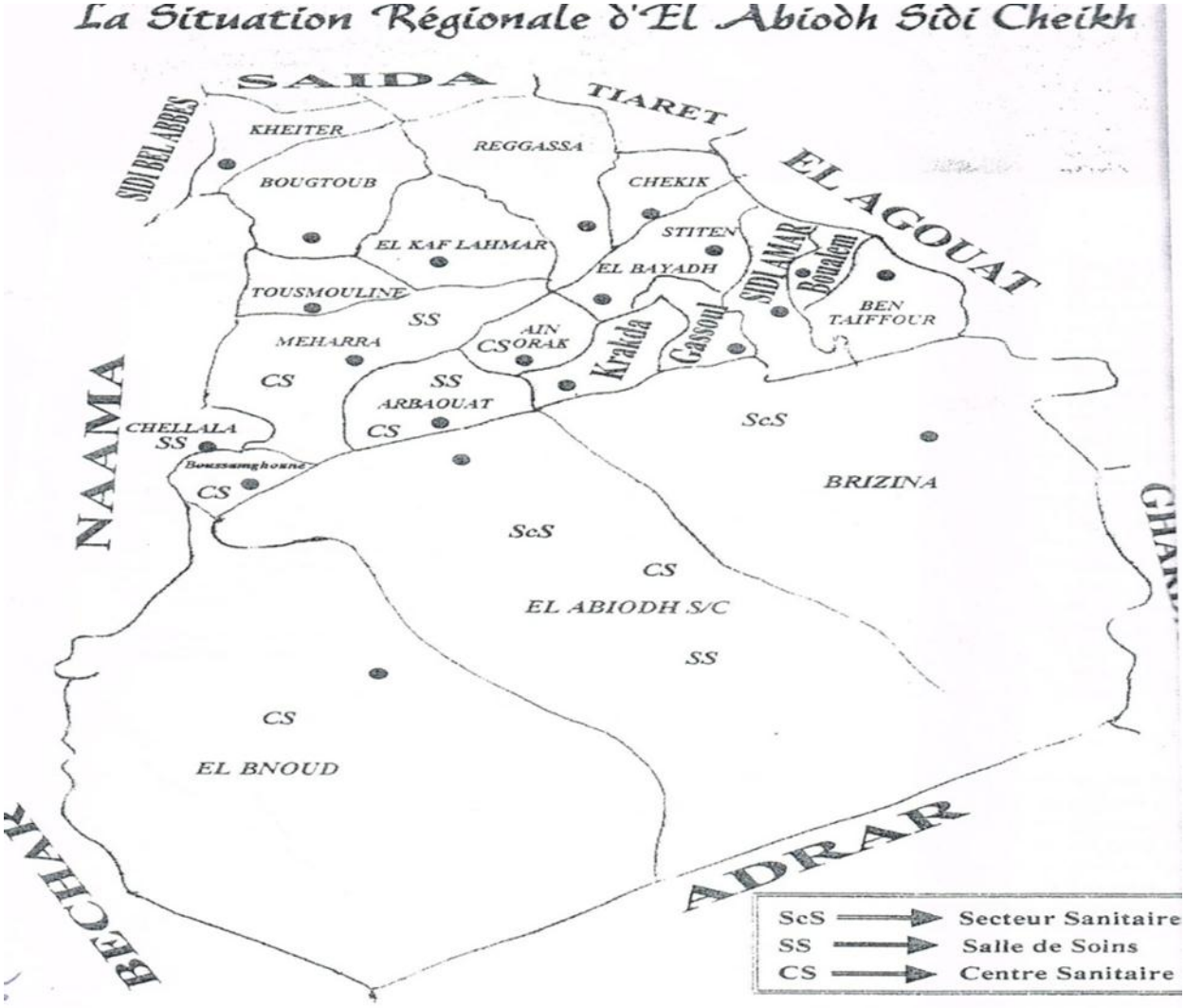
الملاحق

الملحق رقم 01: شجرة النسب البوبكري الصديقي.[1]



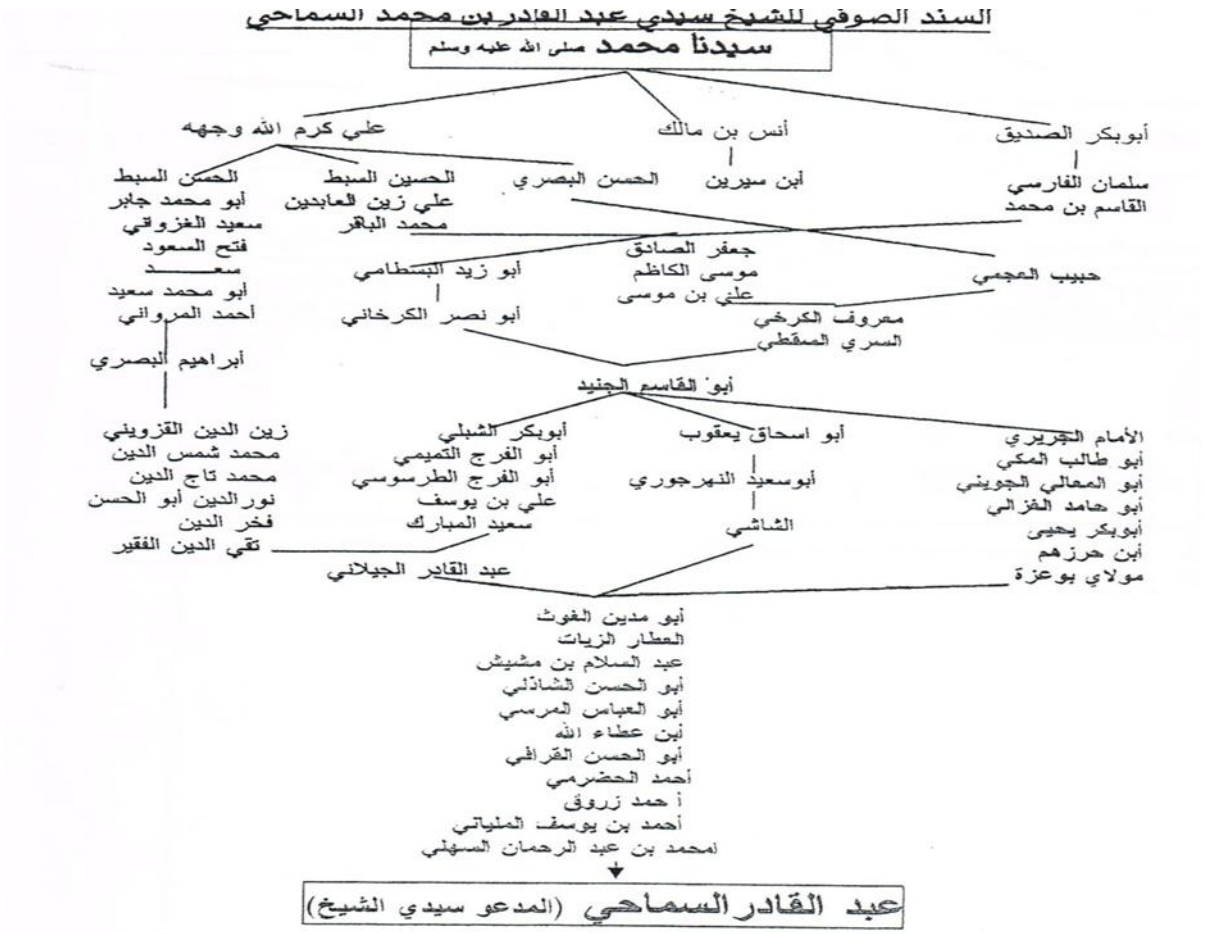
[1] _محمد الطيب البوشيخي، المرجع السابق، ص 220.

الملحق رقم02: خريطة الأبيض سيدي الشيخ.[1]



[1]_ Tribus Algerinnes,https://Tribus Algerinnes.com,15 mai 2025.

الملحق رقم 03: شجرة النسب للشيخ سيدي عبد القادر ابن محمد (سيدي الشيخ).[1]



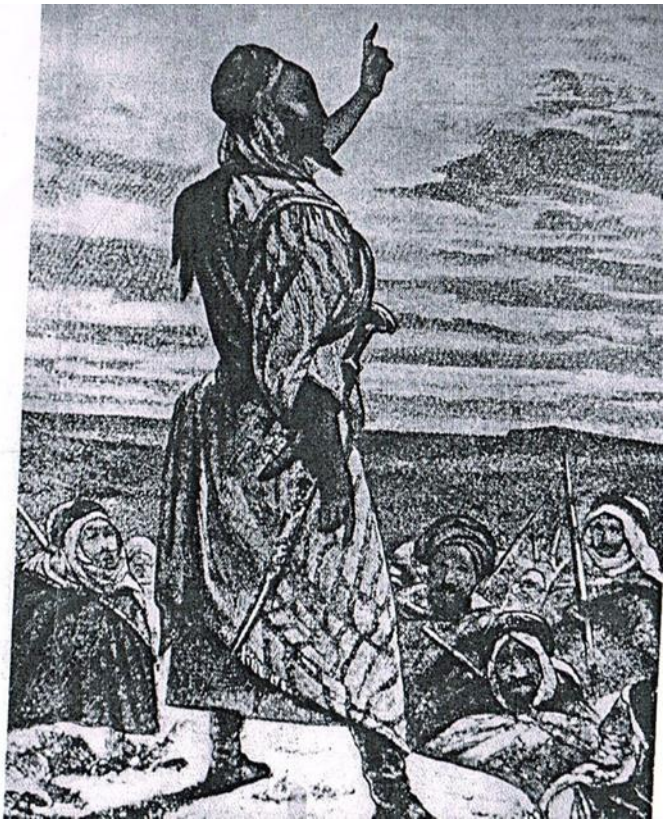
[1] _ إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص 226.

الملحق رقم 04:صورة لبعض الشخصيات الذين قادوا ثورة أولاد سيدي الشيخ.[1]



[1] _ مديرية المجاهدين لولاية البيض، الذكرى الخمسون للاستقلال، صدى الشامخات، العدد الأول، جويلية 2022، ص 05.

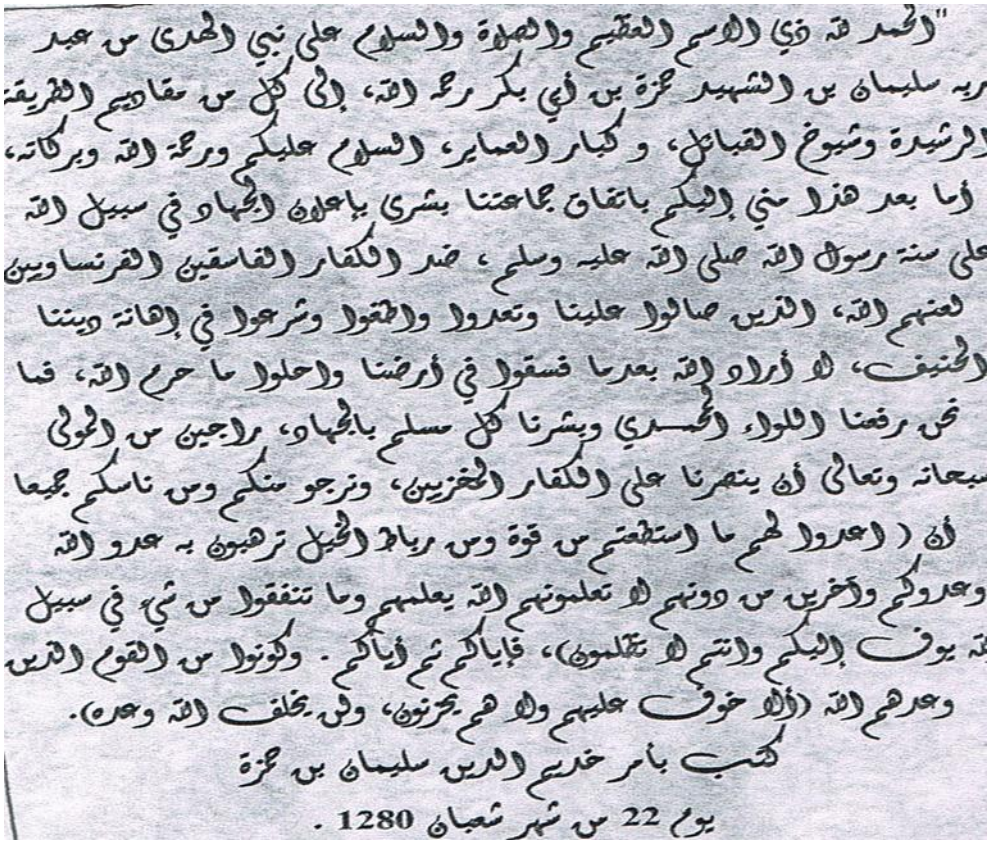
الملحق رقم05: صورة لسي الأعلى وسي قدور.[1]





[1] _ صورة مأخوذة من ويكيبيديا.

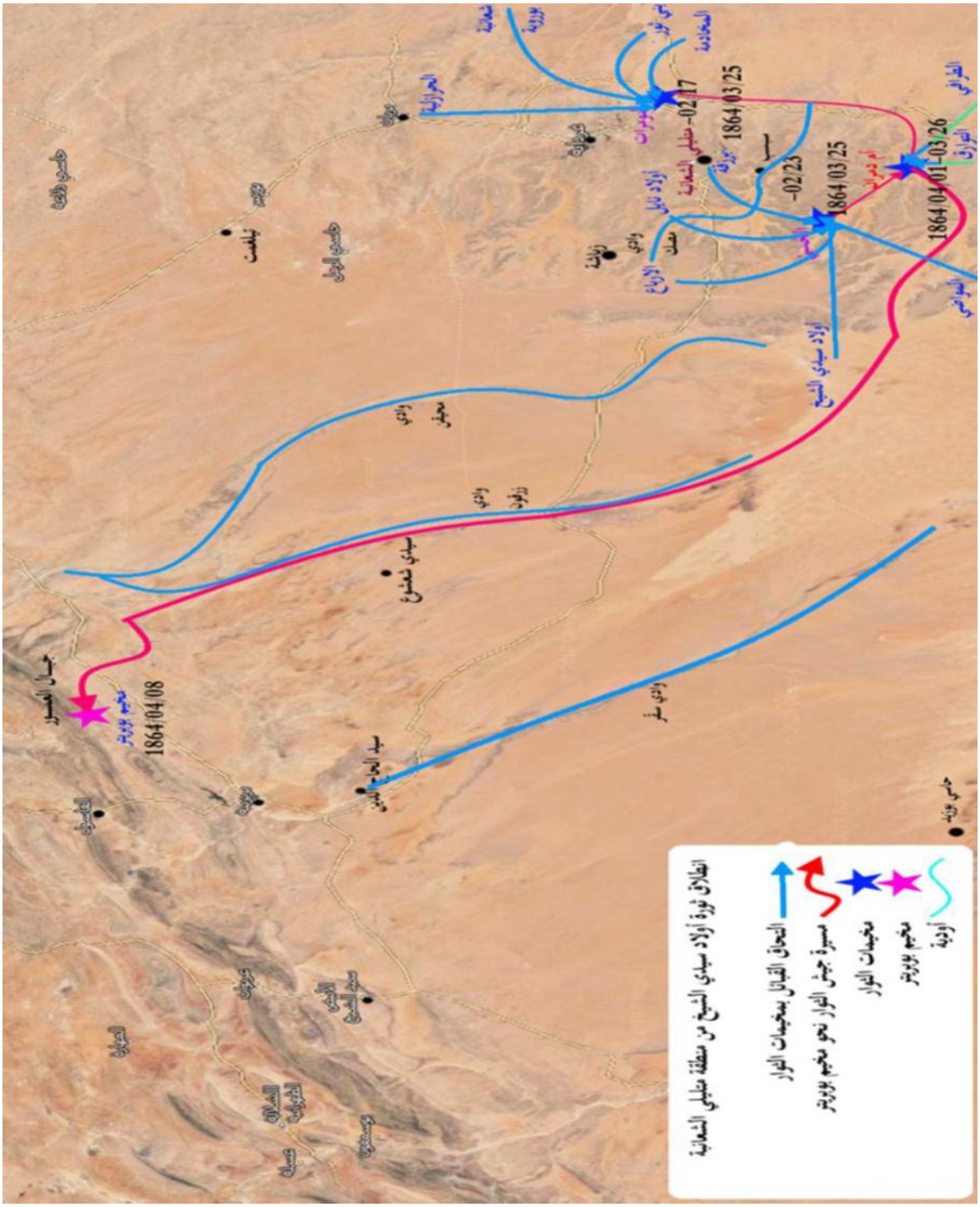
الملحق رقم 06: رسالة التي بعثها سي سليمان بن حمزة إلى القبائل لدعوتهم إلى الجهاد ضد الإحتلال الفرنسي.[1]



"الحمد لله ذي الاسم العظيم والصلاة والسلام على نبي الهدى من عبد
ربه سليمان بن الشهيد حمزة بن أبي بكر رحمه الله، إلى كل من تقاضيه الطريقة
الرشيدة وشيوخ القبائل، و كبار العمائر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
أما بعد هذا مني إليكم باتفاق جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله
على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضد الكفار الفاسقين الفرنساويين
لعنهم الله، الذين صالوا علينا وتعدوا واطغوا وشرعوا في إهانة ديننا
الحنيف، لا أراد الله بعدما فسقوا في أرضنا واحلوا ما حرم الله، فما
نحن رفضنا اللواء المحمدي وبشرنا كل مسلم بالجهاد، راجين من المولى
سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين، ونرجو منكم ومن ناسكم جميعا
أن (اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف إليكم وانتم لا تظلمون)، فإياكم ثم إياكم. وكونوا من القوم الذين
وعدهم الله (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن يخلف الله وعده).
كتب بأمر خديم الدين سليمان بن حمزة
يوم 22 من شهر شعبان 1280 .

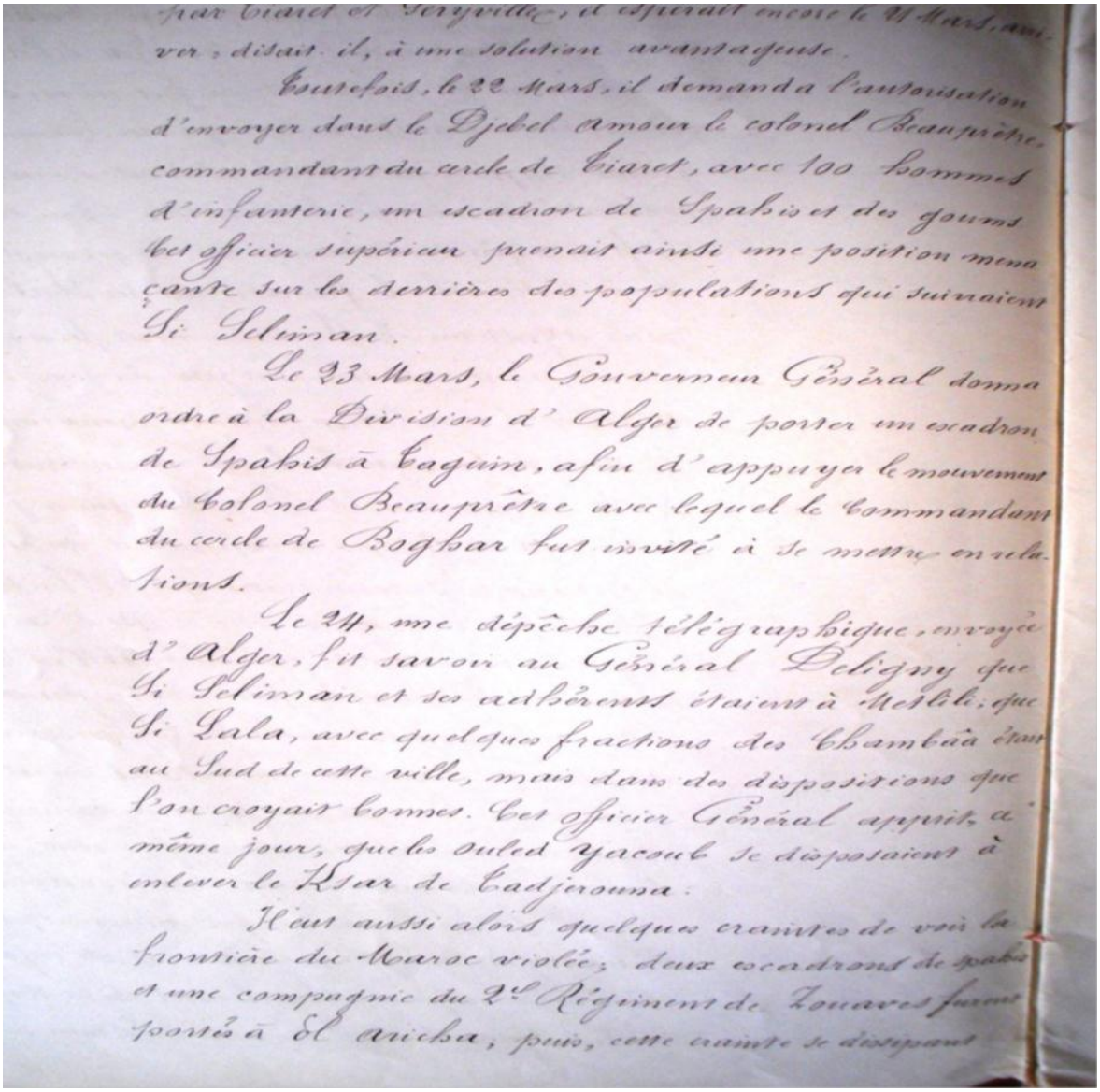
[1] _ مديرية المجاهدين لولاية البيض، الذكرى الخمسون للاستقلال، صدى الشامخات، العدد الأول، جويلية 2022، ص 06.

الملحق رقم 07: خريطة توضح انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ من منطقة متليلي الشعانبة.[1]



[1] _هذه الخريطة من تصميم الطالب الباحث معتمدا على صورة فضائية من موقع جوجل إيرث Google Earth .

الملحق رقم 08: تخييم سي سليمان وسي الأعلى في منطقة متليلي الشعانبة قبل اندلاع الثورة.[1]



par Tiaret et Berryville, il espérait encore le 21 Mars, arri-
ver, disait-il, à une solution avantageuse.

Toutefois, le 22 Mars, il demanda l'autorisation
d'envoyer dans le Djebel Amour le colonel Beauprêtre,
commandant du cercle de Tiaret, avec 100 hommes
d'infanterie, un escadron de Spahis et des goums.
Cet officier supérieur prenait ainsi une position mena-
çante sur les derrières des populations qui suivaient
Si Sliman.

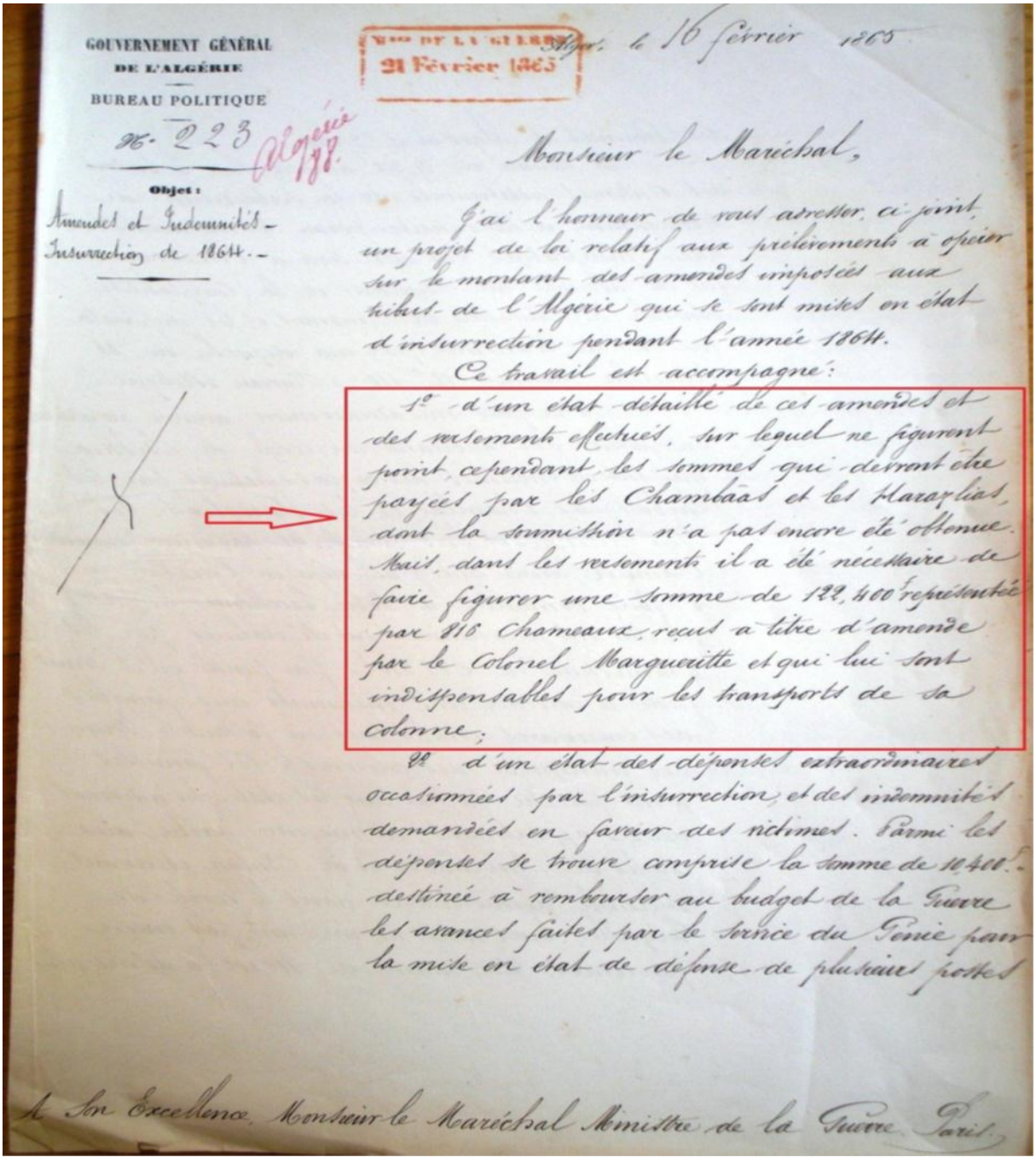
Le 23 Mars, le Gouverneur Général donna
ordre à la Division d'Alger de porter un escadron
de Spahis à Laghouat, afin d'appuyer le mouvement
du colonel Beauprêtre avec lequel le commandant
du cercle de Boghar fut invité à se mettre en rela-
tions.

Le 24, une dépêche télégraphique, envoyée
d'Alger, fit savoir au Général Deligny que
Si Sliman et ses adhérents étaient à Metili; que
Si Lala, avec quelques fractions des Chambâa étaient
au Sud de cette ville, mais dans des dispositions que
l'on croyait bonnes. Cet officier Général apprit, à
même jour, que les ouled Yacoub se disposaient à
enlever le Ksar de Tadjerouna.

Il eut aussi alors quelques craintes de voir la
frontière du Maroc violée; deux escadrons de spahis
et une compagnie du 2e Régiment de Zouaves furent
portés à El Aricha, puis, cette crainte se dissipant

[1]_Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 6.

الملحق رقم09:شعانبة متليلي غير معنيين بضريبة ثورة 1864 بسبب عدم استسلامهم.[1]



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
BUREAU POLITIQUE
N° 223
Objet :
Amendes et Indemnités – Insurrection de 1864. –

21 Février 1865

Alger, le 16 février 1865

Monsieur le Maréchal,

J'ai l'honneur de vous adresser, ci-joint, un projet de loi relatif aux prélèvements à opérer sur le montant des amendes imposées aux tribus de l'Algérie qui se sont mises en état d'insurrection pendant l'année 1864.

Ce travail est accompagné :

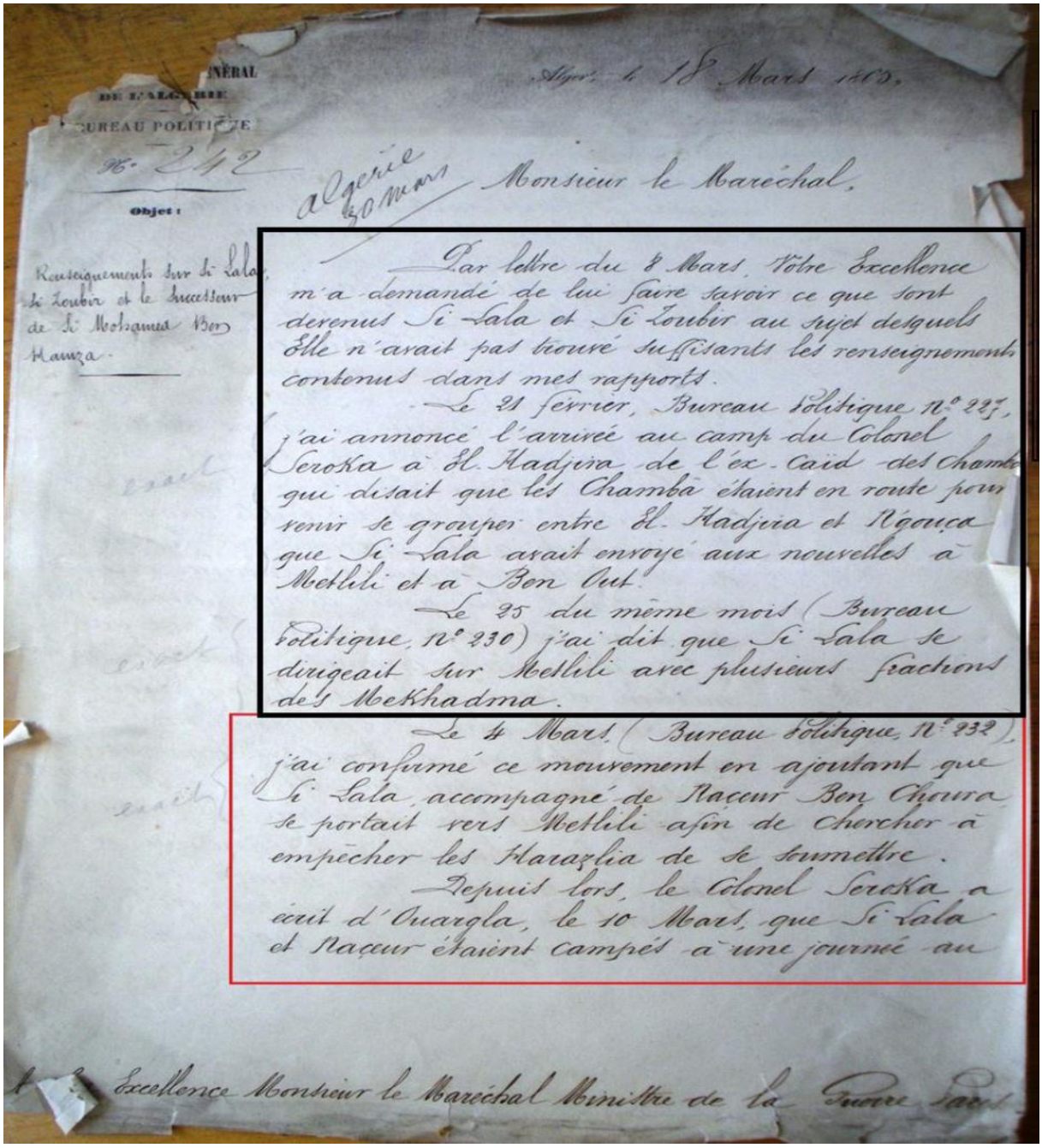
1° d'un état détaillé de ces amendes et des versements effectués, sur lequel ne figurent point, cependant, les sommes qui devront être payées par les Chambâas et les Harar'las, dont la soumission n'a pas encore été obtenue. Mais, dans les versements il a été nécessaire de faire figurer une somme de 122,400 f représentée par 816 chameaux reçus à titre d'amende par le Colonel Marguerite et qui lui sont indispensables pour les transports de sa colonne ;

2° d'un état des dépenses extraordinaires occasionnées par l'insurrection et des indemnités demandées en faveur des victimes. Parmi les dépenses se trouve comprise la somme de 10,400 f. destinée à rembourser au budget de la Guerre les avances faites par le service du Génie pour la mise en état de défense de plusieurs postes

A Son Excellence Monsieur le Maréchal Ministre de la Guerre Paris.

[1]_ Le maréchal de Mac-Mahon: Amendes et Indemnités Insurrection de 1864, Correspondance à Monsieur Le Maréchale Ministre de Guerre, 16/02/1865,ANOM F80/1679.

الملحق رقم10 : تخييم سي الأعلى والناصر بن شهرة جنوب متليلي سنة 1865.[1]



Alger le 18 Mars 1865.

GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
BUREAU POLITIQUE
N. 242

Objet :

Renseignements sur Si Lala, Si Zoubir et le successeur de Si Mohamed Ben Hamza.

Alger le 20 Mars

Monsieur le Maréchal,

Par lettre du 8 Mars, Votre Excellence m'a demandé de lui faire savoir ce que sont devenus Si Lala et Si Zoubir au sujet desquels Elle n'avait pas trouvé suffisants les renseignements contenus dans mes rapports.

Le 21 février, Bureau Politique N.° 225, j'ai annoncé l'arrivée au camp du Colonel Seroka à El Hadjira de l'ex-Caïd des Chamba qui disait que les Chamba étaient en route pour venir se grouper entre El Hadjira et N'gouça que Si Lala avait envoyé aux nouvelles à Metlili et à Ben Out.

Le 25 du même mois (Bureau Politique, N.° 230) j'ai dit que Si Lala se dirigeait sur Metlili avec plusieurs fractions des Mekhadma.

Le 4 Mars (Bureau Politique, N.° 232), j'ai confirmé ce mouvement en ajoutant que Si Lala, accompagné de Naceur Ben Chaura se portait vers Metlili afin de chercher à empêcher les Harazlia de se soumettre.

Depuis lors, le Colonel Seroka a écrit d'Ouargla, le 10 Mars, que Si Lala et Naceur étaient campés à une journée au

Excellence Monsieur le Maréchal Ministre de la Guerre

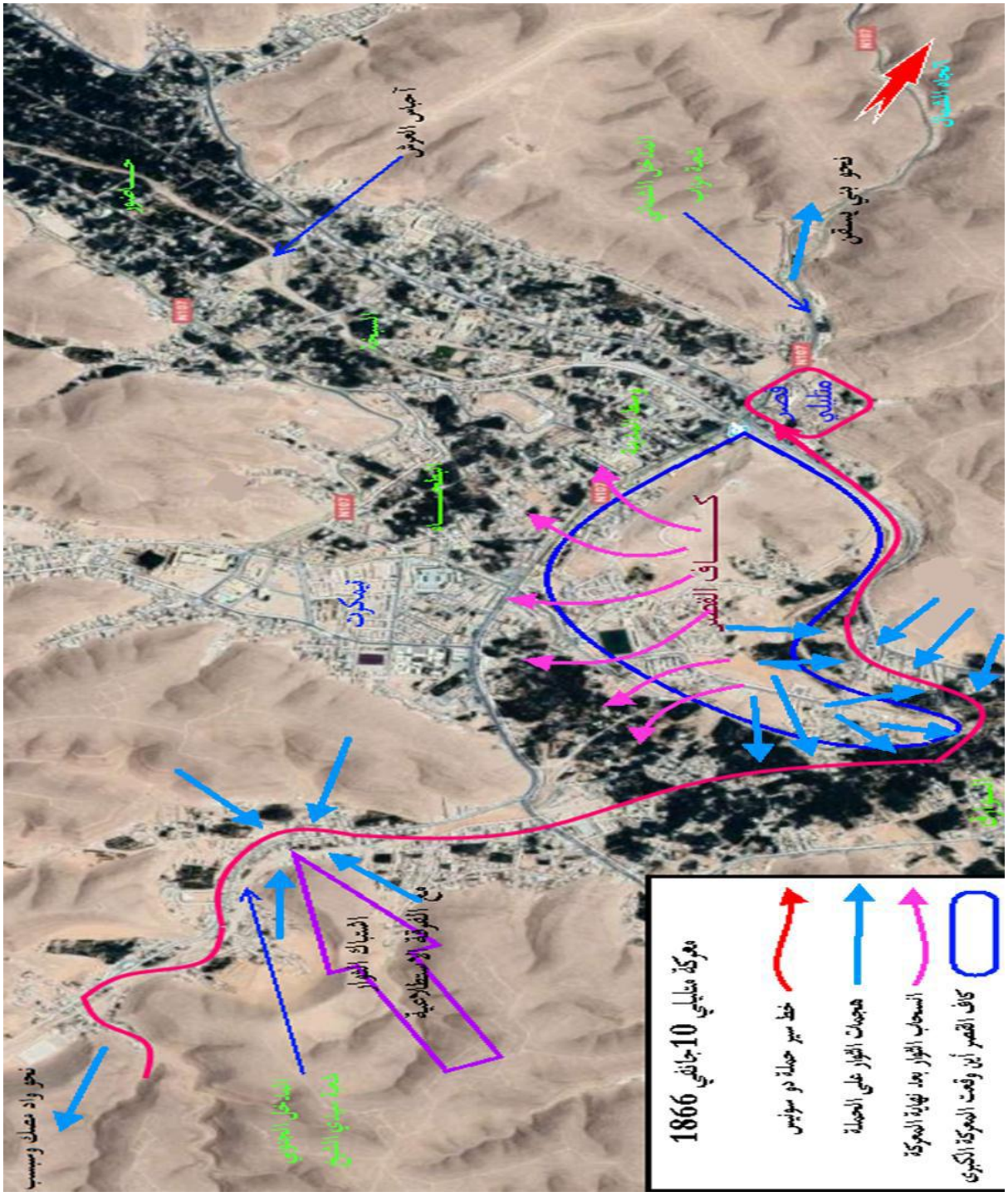
[1] _ Le maréchal de Mac-Mahon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchale Ministre de Guerre, Alger : 18/03/1864, ANOM F80/1695.

الملحق رقم 11: الجنرال دوسونيس قائد حملة 10 جانفي 1866 على متليلي.[1]



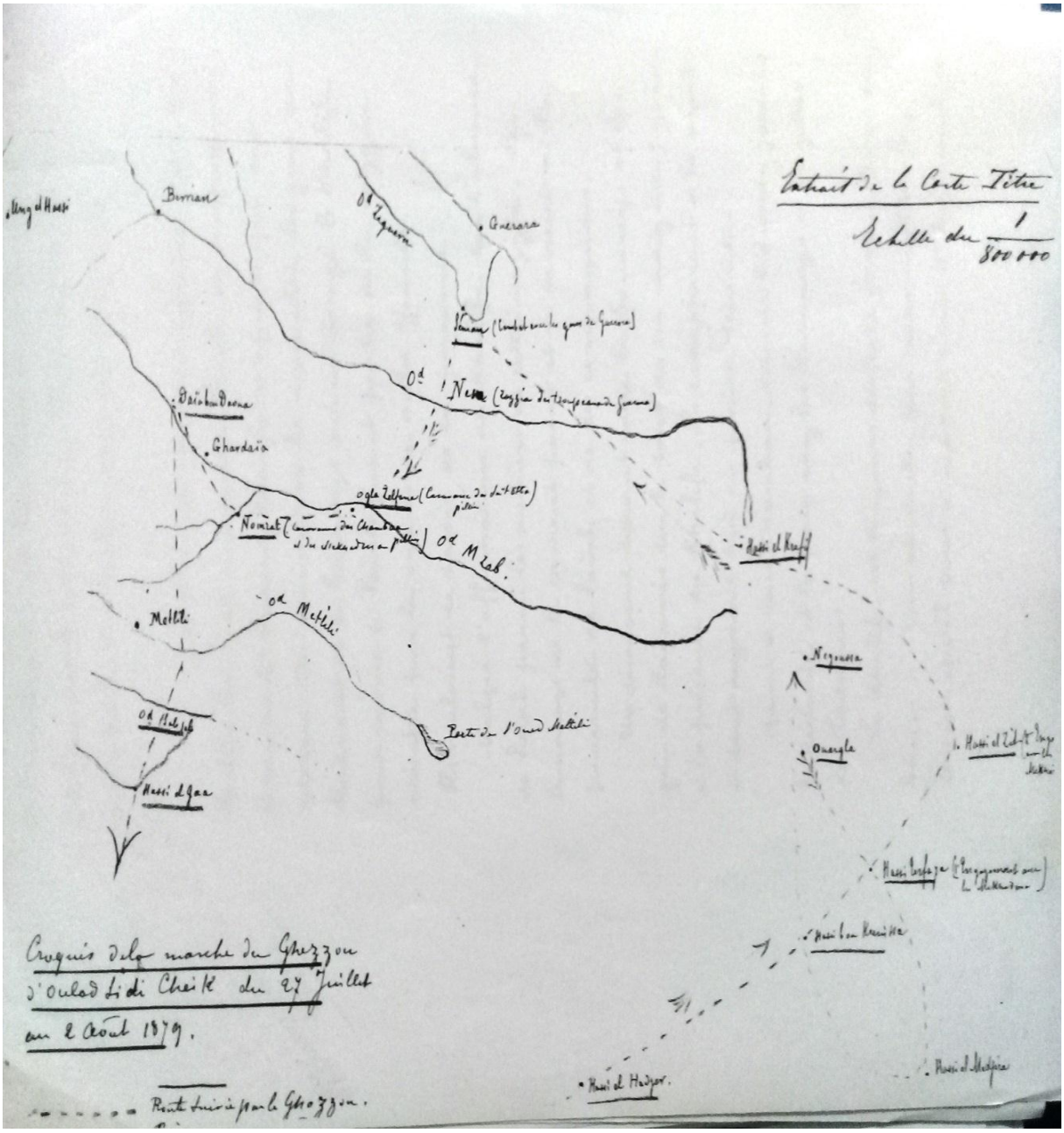
[1]_Charles d'Hallencourt: La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis, p04.

الملحق رقم 12: خريطة توضح مسار حملة دوسونيس على مدينة متليلي معركة متليلي 10 جانفي 1866.[1]



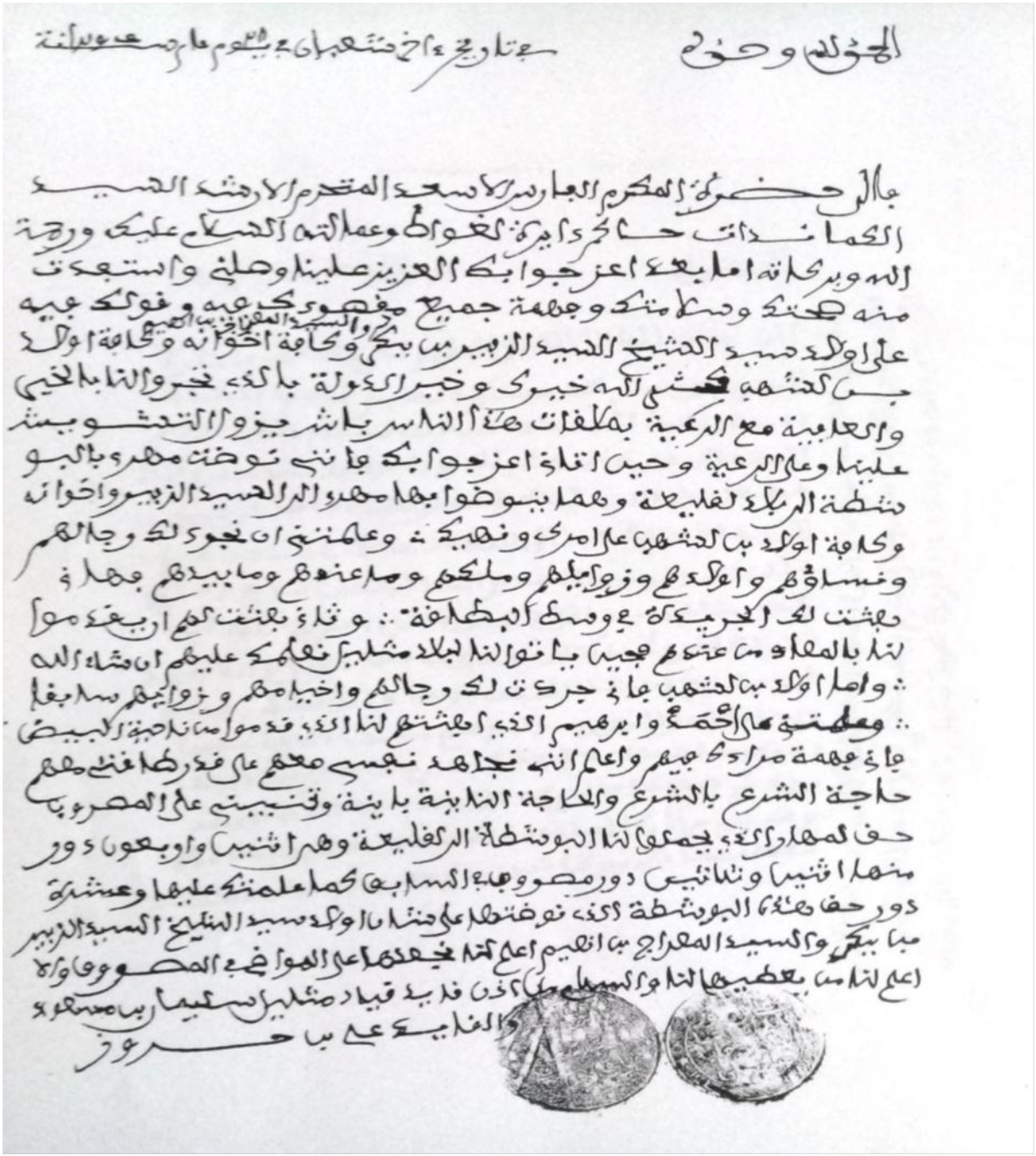
[1]_هذه الخريطة من تصميم الطالب الباحث معتمدا على صورة فضائية حديثة لمدينة متليلي من موقع جوجل إيرث Google Earth.

الملحق رقم 13:رسم تخطيطي يبين مسار حملة مجموعة أولاد سيدي الشيخ ووصولهم إلى متليلي من 27 جويلية إلى 02 أوت 1877.[1]



[1]_Le Colonel Belin: Marche du Ghazzou des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 227, 09/08/1879, A. O, f4.

الملحق رقم 14: طلب سلطات الاحتلال من قياد متليلي التوسط لدى زعماء أولاد سيدي الشيخ لبدء المفاوضات معهم في متليلي.[1]



[1]_قايد قياد متليلي سليمان بن مسعود والقايد علي بن حزوز: مراسلة إلى حاكم الأغواط حول طلب سلطات الاحتلال التفاوض مع أولاد سيدي الشيخ ، متليلي: 28 شعبان 1294 هـ/6 سبتمبر 1877 م، A.O.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

أولا: المصادر

_القرآن الكريم.

أ/ الوثائق

بالعربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت،2001.

2. اطفيش امحمد بن يوسف: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر، تح: فتيحة يطو، جامعة النيلين، السودان،2006.

3. ناصري الحاج بحوص، هجرة أولاد سيدي الشيخ، مخ، Cote: 0 198 1000 00Ghardaïa –CCDS

بالفرنسية:

1. **Mgr Baunard**: Le général de Sonis d'apres ses papiers et sa correspondance, Librairie Charles Poussielgue, Paris, 1891.

ب/ الكتب:

1. **Corneille Trumelet**: Histoire de l'insurrection des oulad_sidi_ech_chikh (sud_algèrien) de 1864 a 1880, revue africaine, alger,1884.
2. **Corneille Trumelet**: Histoire de l'insurrection dans le sud la province d'Alger en 1864,Adolphe jourdan Imprimeur_Libraire, Alger,1879.

3. **De La Martinière H.-M-.P. et Lacroix N.**:Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie,Alger, 1897.

4. **Daumas Eugène**:Le Sahara Algérien,Dubos Frères,Alger, 1845.

5. **F.Gourgeot**, Situation politique de l'Algérie,Challamel aine, éditeur,librairie Algerienne et Coloniale,Paris,1881.

ج/الجرائد:

1.Le Mobacher, Résumé la situation politique générale des trois provinces,au 22avril,03mai1879,n10.

ثانيا/ المراجع:

أ/ المراجع باللغة العربية:

1. باسكون بول، البنى القبلية في المغرب العربي، تر: مصطفى التومي، دار توبقال، الدار البيضاء،1986.

2. بحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلام، الجزائر، 1997.

3. بسايح بوعلام، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي (1830-1954)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

4. بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية، ط1، دار طليطة ، الجزائر، 2009.

5. بن عمارة بن خليفة، النسب الشريفة شرفة الجنوب الغربي، دار الغرب، الجزائر، 2008.

6. بن عمارة خليفة، السيرة البوبكرية سيدي الشيخ، تر: بوداود عمير، ج1، مكتبة الجودي مسعود، الجزائر، 2011.

7. بن هدوقة عبد الحميد، تاريخ الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، دار الثقافة، الجزائر، 1984.

8. البوشخي محمد ابن الطيب، أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، "التصوف والجهاد والسياسة"، ط1، مطبعة الجسور، المغرب، 2009.

9. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د–ت).

10. بوعزيز يحي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية(1837–1934)، دار هومة، الجزائر، 2009

11. بوعزيز يحي، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر، الجزائر، 2009.

12. ترواملي كورناي، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في الحدود الصحراء الجزائرية، تر: محمد المعراجي، منشورات المركزية الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر و التوزيع، الجزائر، (د–ت).

13. الحسني عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.

14. خليفة عبدالقادر، الطريقة الشيخية، دار الأديب، الجزائر،2006.

15. خليفي عبد القادر، المقاومة الشعبية لشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2010.

16. خليفي عبد القادر، ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الجزائري (1864–1884)، دار الهدى، عين مليلة، 2014.

17. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

18. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر العام،ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

19. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

20. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الحركة الوطنية،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992.

21. السعيدي محمد العربي، تاريخ أولاد سيدي الشيخ و المقاومة الصحراوية، دار الجزائر الجديدة ،1995.

22. شفيق محمد، الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (1516-1830)، دار الفكر العربي، الجزائر، 2005.

23. صاري علي محمد، الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية: دراسة في أساليب الاختراق والاحتلال (1844-1902)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2001.

24. عتبي سعيد، القبائل العربية في الجزائر من خلال الوثائق الفرنسية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.

25. قدي نادية، الجغرافيا الإقليمية للجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2012.

26. مالك بحوص، ثورة أولاد سيدي الشيخ، دار المغرب، الجزائر، 2009.

27. المدني أحمد توفيق، أبطال المقاومة الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009.

28. منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

29. مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1996.

30. ميلاد عيسى، الياقوتة في التصوف، المطبعة المركزية،وجدة، (د-ت).

ب ـ المراجع باللغة الفرنسية:

1. **Albert Bessiéres**: Sonis 1825-1887, Beauchesne , éditeur, Paris,1946.
2. **Cheikh si hamza boubakeur**, un soufi algeirien, sidi cheikh, tome1, maisommeuve alarose, paris, 1990.
3. **Khelifa benamara**,la saga des boubakria (t2):sidi cheich personnage horsdu commun, librairie djoudi messaoud,oran, 2011.
4. **Moussaui rarabia**, géryville:"ou les sourcés laries",enag editions, alger, 2003.

ثالثا/ المجلات والدوريات:

بالعربية:

1. بن معمر محمد، "الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات،المجلد1،العدد1، جامعة وهران،2002.

2. بوعزيز يحي، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864_1881، مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ع51، ماي_جوان1979.

3. جمال حريشة، إبراهيم مياسي: حياته وآثاره ومنهجه في الكتابة التاريخية، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد23، العدد2022،1.

4. مجموعة من المؤلفين، المقاومات الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير،المجلة التاريخية،العدد الأول، صدرت عن مديرية المجاهدين بولاية البيض، رمضان 1433هـ/ جويلية 2012.

بالفرنسية:

1_Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour server l'Historique d'Ouargla 1885, In, R.A, V64, 1923.

رابعا/ الملتقيات:

1_مجموعة من المؤلفين، ثورة أولاد سيدي الشيخ ومقاومتهم ضد الاحتلال، الملتقى الوطني الأول، الأبيض سيدي الشيخ ولاية البيض، 23-24-25 أكتوبر، الجزائر، 1996.

خامسا/ المذكرات و الأطروحات الجامعية:

1_ بوقرين عيسى، انتفاضة ابن الناصر بن شهر (1851-1875)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2009.

2_ بلمخفي زهرة، الطريقة الشيخية ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2013.

3_ شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية الى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006.

4_علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية1882-1954، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،2009/2008.

5_ مسعودي زهرة ، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، 2009.

6_ لكحل الشيخ، مقاومة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين(1851_1908م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس،2018/2017.

سادسا/ الموسوعات و المعاجم:

بالعربية:

1_الكيلاني عبد الوهاب وآخرون: الموسوعة السياسة، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الأردن، ج5، 1990.

بالفرنسية:

1_ Narcisse Faucon: Le Livre d'Or de l'Algérie, Challamel et Cie Éditeurs, Paris, 1889.

سابعا/ المواقع الإلكترونية:

1_موقع المكتبة الفرنسية (Gallica): www.gallica.bnf.fr

2_موقع قوقل إيرث (Google Earth): www.earth.google.com

3_موقع ويكيبيديا(wikipedia): https://www.wikipedia.org

فهرس المحتويات

التشكر والعرفان

الإهداءات

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري1845م.....**10**

المبحث الأول:الطبيعة الجغرافية للجنوب الجزائري وأهم القبائل.....**10**

أولا/ التحديد الجغرافي للجنوب الغربي.....**10**

ثانيا/ أهم قبائل المنطقة(قبيلتي أولاد سيدي الشيخ وشعانبة متليلي أنموذجا).....**15**

المبحث الثاني: دور قبيلة أولاد سيدي الشيخ دينيا واجتماعيا.....**20**

المبحث الثالث:العلاقة بين أولاد سيدي الشيخ وشعانبة متليلي.....**25**

المبحث الرابع:التوسع الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري **1845م**.....**27**

الفصل الأول: انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ.....**34**

المبحث الأول: تسرب النفوذ الفرنسي داخل قبيلة أولاد سيدي الشيخ.....**34**

أوضاع قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة وبروز شخصية سي حمزة.....**34**

المبحث الثاني: أسباب الثورة.....**37**

المبحث الثالث: مراحل الثورة.....**40**

الفصل الثاني:مساهمة قبيلة الشعانبة في ثورة أولاد سيدي الشيخ.....**60**

المبحث الأول: دور قبيلة الشعانبة في دعم وإسناد الثورة.....**60**

المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة متليلي الشعانبة في الثورة.....**67**

أولا_التعريف بالعقيد دوسونيس.....**67**

ثانيا–حملة العقيد دوسونيس العسكرية على متليلي"معركة متليلي".....**70**

المبحث الثالث: إنعكاسات حملة دوسونيس على ثورة أولاد سيدي الشيخ.....**80**

أولا_المواجهات العسكرية.....80

ثانيا_المفاوضات.....86

خاتمة.....90

الملاحق.....93

قائمة المصادر و المراجع.....108

فهرس المحتويات.....116

ملخص الدراسة.....118

ملخص الدراسة:

أولا باللغة العربية:

يتناول هذا البحث الدور المحوري الذي أدته قبائل الجنوب الجزائري، وعلى وجه الخصوص قبيلة الشعانبة بمنطقة متليلي، في ثورة أولاد سيدي الشيخ خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الجوانب السياسية والاجتماعية والعسكرية للثورة، مع التركيز على إسهام القبائل الجنوبية في التصدي للتوسع الاستعماري الفرنسي في المناطق الصحراوية.

اتبعت هذه المذكرة منهجًا تاريخيًا تحليليًا، بالاعتماد على مصادر أرشيفية فرنسية، ووثائق محلية، إلى جانب الدراسات الأكاديمية الحديثة، بهدف إبراز الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الجنوب في إطار حركة المقاومة الشعبية؛ وقد أظهرت النتائج أن قبيلة الشعانبة، بفضل موقعها الجغرافي المتميز وخبرتها في خوض المعارك الصحراوية، لعبت دورًا محوريًا في دعم ثورة أولاد سيدي الشيخ، حيث شكلت قاعدة خلفية ومنطلقًا إستراتيجيًا أساسيًا لعملياتها العسكرية ومجالات تحركها.

كما كشفت الدراسة عن عمق الروابط القبلية والدينية التي جمعت بين قبيلة الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ، والتي ساهمت في تعزيز وحدة الصف القبلي في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وتخلص المذكرة إلى أن ثورة أولاد سيدي الشيخ لم تكن مجرد حركة تمرد محلية، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من مسار المقاومة الوطنية، ساهم فيها الجنوب بدور ملموس رغم التهميش الذي طال هذه المنطقة في الروايات التاريخية التقليدية.

الكلمات المفتاحية: الجنوب الجزائري؛ قبيلة شعانبة متليلي؛ ثورة أولاد سيدي الشيخ؛ مقاومة الاستعمار الفرنسي.

ثانيا باللغة بالإنجليزية:

This research explores the pivotal role played by the southern Algerian tribes—particularly the Chaanba tribe in the Metlili regionin the uprising of the Ouled Sidi Cheikh during the second half of the nineteenth century,The study aims to shed light on the political, social, and military dimensions of the revolt, with a specific focus on the contribution of southern tribes in resisting French colonial expansion in the Sahara.

The dissertation adopts a historical-analytical approach, drawing on French archival sources, local documents, and modern academic studies, in order to highlight the strategic importance of the southern region within the broader context of popular resistance.The findings reveal that the Chaanba tribe, due to its advantageous geographical location and experience in desert warfare, played a central role in supporting the Ouled Sidi Cheikh uprising, serving as both a strategic base and a launching point for military operations and movements.

The study also uncovers the deep tribal and religious ties between the Chaanba and the Ouled Sidi Cheikh, which contributed to the strengthening of tribal unity in the face of French colonialism. The dissertation concludes that the Ouled Sidi Cheikh uprising was not merely a local rebellion, but rather an integral part of the national resistance movement—one in which the southern region played a significant role, despite the marginalization it has suffered in conventional historical narratives.

Keywords: Southern Algeria ,the Revolution of Ouled Sidi Cheikh,the Tribe of Chaanba Metlili,French colonialism.